لقد قام الطالب بتصحيح الأخطاء التي طلبتها اللجنة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا
فرع الكتاب والسنة

دكتور
مسعد عبد المعطي الحفني النبراوي

طالب حماد ابو شعر

د. محمود علي حماية

أسباب النصر والهزيمة في الكتاب والسنة

رسالة مقدمة لنيل درجة «الماجستير»

إعداد الطالب

طالب حماد أبو شعر

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٢٢٢

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

مسعد عبد المعطي الحفني النبراوي

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
عمادة شئون المكتبات
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

العام الدراسي ١٤٠٦ / ١٤٠٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

عليه نتوكل وبه نستعين

إنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا فى يومه إلا قال فى غده : لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن . ولو زيد كذا لكان يستحسن . ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل . ولو تُرِك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر . وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

" العماد الأصفهانى "

إهداء

بيومي

إلى القادة والمفكرين والعلماء .

إلى العاملين في حقل الدعوة الإسلامية .

إلى المجاهدين الصادقين الذين يقاتلون لنصرة هذا الدين .

إلى الشباب المؤمن الذي بذل روحه لله سبحانه .

الباحث

شكر وتقدير

شكـــــــر وتـقـــــديــــــر

الحمد لله الذى انعم عليّ نعما لاتعد ولاتحصى ، واولها نعمة الاسلام ، ثم نعمة مجاورة بيت الله الحرام . وله الحمد والمنة أن وفقنى لأن اكون من طلاب العلم الشرعي . واسأله سبحانه أن يزيدني من فضله ، وأن يجعلنى من العاملين باحكام شرعه ، وان يوفقنى لان اكون من دعاته وجنده ، انه سميع مجيب.

ثم اتقدم بجزيل الشكر لجامعة ام القرى التى اتاحت لنا الفرصة بالدراسة فى احضانها ، واستقدمت لنا العلماء الصالحين ، ووفرت لنا مانحتاجه فى دراستنا .

واتوجه بالشكر والتقدير الى القائمين على كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، واخص منهم بالذكر سعادة عميد الكلية ووكيله - حفظهما الله - الذيـــن سهرا من اجل راحة الطلاب.

وأتقدم بخالص شكرى وتقديرى لفضيلة شيخنا الاستاذ الدكتور/ مسعد عبد المعطى الحفنى النبراوى على ما احاطنى به من رعاية واهتمام ، فقـــد اعارني سمعه ، وفتح لى قلبه ، ولم يأل فى عونى وارشادى وتوجيهى جهدا . وقد كان لتوجيهاته العلمية النافعة الاثر الكبير فى انجـــاز هذه الرسالة.

كما ازجى شكرى وتقديرى الى كل من قدم لى مساعدة سواء كان ذلـــك فى اعارتى مرجعا ، او تنبيهى اليه ، ولكل من اسدى لى نصحا . وللجميع منـــى الدعاء الصالح ، واللــــه الموفـــق . . . .

المقدمة

مقـــــدمــــــــة

الحمد لله وحده ، الذى نصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده ، والصلاة والسلام على الرسول الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم امام المتقين وقائد المجاهدين وعلى آله الكرام الطاهرين ، وعلى صحابته الذين نهجوا نهجه وساروا على دربـــه فنصرهم الله ومكنهم ، وعلى من تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد ،.

يقول سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز : (إِنْ تنصروا الله ينصركم ويثبـت أقدامكـــم) (١) . ويقول سبحانه : (ولينصرن الله من ينصره انّ الله لقوى عزيز * الذين انْ مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكــــر ولله عاقبة الامور) (٢) .

لقد بزغ فجر الاسلام يوم أن بعث الله سبحانه نبيه محمد بن عبد اللـــــه صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة ، وبدأ ظلام الجاهلية يتبدد أمام هذا النـــور حتى تلا شـى .

واشرقت شمس الاسلام حتى أنارت الدنيا بنور الهداية والعدل والصـــلاح .

واستيقظت أمتنا يوم بزوغ ذاك الفجر ، ثم ترعرعت مع شروق شمسه فسادت البشريـــة وساستها الى دروب الخير والفلاح .

وكان لهذا الدين الفضل على مابلغـه المسلمون من القوة والنصـــر والتمكين ، اذ نصروا الله فنصرهم وايدهم على عدوهم فأصبحوا ظاهرين .

---

(١) محمد (٧) .
(٢) الحج (٤٠ ، ٤١) .

واليوم تلبد سماء المسلمين بعض الغيوم التى تحجب شمس الاسلام ونوره عن البشرية ، وذلك لأن المسلمين انحرفوا عن دين الله فخسروا وخسر العالم بخسارتهم كذلك نور الهداية والسعادة.

ويظن بعض المسلمين - لرؤيتهم تلك الغيوم وهى تلوح فى الافق - أن شمس الاسلام أوشكت على المغيب . ولكن هيهات ، هيهات ، فانها غيوم سرعان ماتنقشع ، وستزول باذن الله قريبا . ولكن بعد أن يعود المسلمون الى دينهم ويصححوا مسارهم الذى انحرفوا به عن جادة الصواب.

ولنكن على يقين من نصر الله ، لانه سبحانه وعد عباده المؤمنين بالنصر والتمكين ما اقاموا شريعته ونصروا دينه - ، ووعد سبحانه أن يظهر دينه فقال جل جلاله (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[1].

وقال سبحانه : (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا)[2].

وبشر الرسول صلى الله عليه وسلم الامة الاسلامية بالنصر والتمكين . أخرج الامام أحمد - واللفظ له - والحاكم عن ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال :[3] (بشر هذه الامة بالسناء والنصر والتمكين . . الحديث) .

وبشر ايضا بان الله سبحانه سيمكن لهذه الامة حتى يبلغ ملكها الدنيا من مشرقها الى مغربها .

---

(١) التوبة (٣٣) ، الصف (٩) .
(٢) الفتح (٢٨) .
(٣) اخرجه الامام احمد فى المسند (٥/١٣٤) . والحاكم فى المستدرك كتاب الرقائق (٤/٣١١) وصححه . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/٢٢٠) : رواه احمد وابنه من طرق ورجال احمد رجال الصحيح .
قلت : اسناد الامام احمد فيه الربيع بن انس ، اخرج له الاربعة ، قال فيه النسائى لابأس به . التهذيب (٣/٢٣٩) . وقال ابو حاتم : صدوق . الجرح والتعديل (٣/٤٥٤) وقال ابن حجر : صدوق له اوهام . التقريب (١/٢٤٣) وبقية رجاله ثقات . لذا فان اسناده حسن . وروى عبدالله بن الامام احمد الحديث فى المسند (٥/١٣٤) من طريق ايوب باسناد حسن ايضا . لذا فان الحديث حسن لذاته صحيح لغيره .

أخرج الامام مسلم - واللفظ له - وابوداود والترمذى وابن ماجة والامام أحمد عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله زوى لى الارض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وان امتى سيبلغ ملكها مازوى لى منها .. الحديث)[1].

واذا كانت الامة الاسلامية اليوم تعيش مرحلة جراح وهموم ومشاق فان هذه فى الحقيقة هموم ومشاق المخاض الذى يسبق الميلاد، ثم يعقبه ميلاد مبارك، ميلاد النصر والفتح المبين.

وفى هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ هذه الامة ينبغى أن تتحفز طاقات المخلصين من ابنائها، وينبغى أن تبرز دواعي الاستجابة للتحدى الذى تواجهه هذه الامة، وينبغى أن تتضافر العقول والقلوب والسواعد لكى تتخطى وتتجاوز هذه المحنة، ثم تنطلق صوب القمة لتبنى مجدا تليدا لهذه الامة ونصرا عزيزا يعز فيه الحق وأهله ويذل الباطل وحزبه.

---

(١) اخرجه الامام مسلم فى الفتن / باب هلاك هذه الامة بعضهم ببعض (٤ / ٢٢١٥).
وابو داود فى الفتن والملاحم / باب ذكر الفتن ودلائلها (٤ / ٩٨،٨٧).
والترمذى فى الفتن / باب ماجاء فى سؤال النبى ثلاثا فى امته (٤ / ٤٧٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
وابن ماجة فى الفتن / باب مايكون من الفتن (٢ / ١٣٠٤).
والامام احمد فى المسند (٥ / ٢٨٤،٢٧٨).

سبب اختياري هذا الموضوع:

ومن نعمة الله على أن وفقني لان اختار موضوعا يشكل جهدا متواضعا أساهم به في القاء الضوء على أسباب النصر والهزيمة في الكتاب والسنة كي نبصر الطريق الذي ينقلنا من الذل الى العزة والكرامة ومن الهزيمة الى النصر والريادة ، وعنوان هذا الموضوع : أسباب النصر والهزيمة في الكتاب والسنة .

ويمكن تلخيص الأسباب التي دعتني الى اختيار هذا الموضوع فيما يلي :-

(١) المساهمة في القاء الضوء على القضية الكبرى التي تشغل ابناء الامة الاسلامية ، والتي تتمثل في القدرة على مواجهة التحديات العالمية المعادية ، واحراز النصر عليها ليعود للمسلمين مجدهم ، وتأصيل موقف الاسلام ومنهجه الكفيل بتخطي المحنة وتجاوز العقبة حتى تعود الامة خير امة اخرجت للناس.

(٢) المساهمة في اقتلاع واجتثاث اليأس الذي سرى أو كاد يسري في قلوب ابناء هذه الامة من عودة المسلمين الى سابق مجدهم وحصول النصر والظفر لهم على اعدائهم ، واعادة الثقة اليهم في وعد الله لهم بالنصر والتمكين .

(٣) الرد على من يريد أن يخلع ثوب الاسلام مدعيا أن الاسلام هو الذي أدى بالمسلمين الى ماهم عليه من ضعف ، ولا علاقة أن ماعليه المسلمون اليوم من ضعف انما هو بسبب بعدهم عن الاسلام ، وأن لا سبيل الى القوة والنصر الا بالاسلام .

(٤) تحديد ميزان النصر والهزيمة بالنسبة للامة الاسلامية من خلال الكتاب والسنة ليتسنى بذلك معرفة جوانب الخلل والضعف التى تعانيها الامة الاسلامية ليتم اصلاحها وتصحيح خطر الانحراف الذى ادى بنا الى الوقوع فى الهزيمة وللاستزادة من اسباب القوة والنصر التى بينتها نصوص الكتاب والسنة.

(٥) الاجابة على من يتساءلون عن سبب وقوع الهزيمة بالمسلمين او تأخر النصر عنهم، ليعرفوا الاسباب التى ادت بهم الى أن يؤلوا الى هذه الحال أوتلك.

(٦) الرد على من يطلبون النصر من الشرق او الغرب متناسين الاسلام وجاهلين او متجاهلين أن النصرمن عندالله يمنحه لمن يشاء ويمنعه عمن يشاء.

(٧) ابراز قيمة مايملكه المسلمون من الاسباب الشرعية التى تساهم فى ترجيح كفتهم على عدوهم ، وتساهم فى نزول نصر الله وتأييده لهم.

عملي فى الرسالة:

لقد حاولت جمع واستيعاب الآيات والاحاديث التى تعالج موضوع النصر والهزيمة مع بيان اقوال المفسرين والعلماء فيها لازالة الابهام او للكشف عن أحد المعاني التى يتضمنها النص.

واستشهدت بهذه النصوص فى مواضع كثيرة حسب مايتطلبه الموضوع، وقد اجزئها اذا احتاج الامر، لذا فان بعض النصوص تعرضت لها بالشرح والتفصيل فى موضع ولم اتعرض لها كذلك فى موضع آخر، او تناولتها فى موضع من الجانب الذى له صلة بهذا الموضع، وتناولتها فى الموضع الآخر من الجانب الذى له صلة بالموضع الجديد .

وعزوت الآيات الى مواضعها من كتاب الله واما الاحاديث فقد حرصت على تخريجها من كتب السنة مع الحكم على اسنادها ونهجت فى عزوى لها تسجيل اسم المصنف والكتاب والباب والجزء والصفحة ليسهل بذلك الكشف عن الحديث فى اى طبعة كانت. ونصوص السيرة والتاريخ وغيرها عزوتها الى المواضع التى اخذتها منها ، ودونت اسم الكتاب او المصنف ومؤلفه ، وطبعته ، ودار الطباعة او النشر فى اول موضع يأتى فيه ،ثم اغفلته فى المرات اللاحقة الا اذا اعتمدت على طبعة ثانية فى موضع آخر فاسجلها بنفس الطريقة السابقة.

وحرصت على اخذ المعلومات من المصادر الاساسية ماامكن ، ومن كتب السنة خاصة -بعد كتاب الله- وحاولت ان اعتمد على نصوص يحتج بها لتوثيق المعلومات ليتسنى بذلك اعادة الثقة الى النفوس فى نصر الله وفى الاسباب المشروعة لحصول النصر والظفر.

واستفدت مما كتب حديثا وله صلة بموضوع الجهاد والنصر، من اى مصدر يفيد .

واعددت للرسالة ثلاثة فهارس.

الفهرس الاول للموضوعات : سجلت فيه مباحث الرسالة وفصولها وابوابها حسب ترتيبها فى الرسالة ، واشرت الى رقم الصفحة.

الفهرس الثاني : للاحاديث : رتبت فيه الاحاديث والآثار الواردة فى الرسالة حسب ترتيب حروف الهجاء ، مع الاشارة الى ارقام الصفحات التى وردت فيها ، وذكرت الراوى ايضا مقابل كل حديث ، وصاحب الأثر كذلك ليسهل الكشف عن الاحاديث والآثار.

الفهرس الثالث: للمصادر والمراجع: رتبت فيه المصادر والمراجع حسب ترتيب حروف الهجاء ، وذكرت اسم المصدر او المرجع، ومؤلفه ، ودار الطباعة او النشر ، وطبعته.

عرض موجز لمباحث الرسالة:

قسمت الرسالة الى ثلاثة ابواب؛ الاول منها تمهيدى ، والآخران رئيسان.

أما الباب الاول فهو بعنوان الجهاد والنصر فى الكتاب والسنة - وينقسم الى فصلين الاول بعنوان الجهاد فى الكتاب والسنة وفيه أربعة مباحث هى : فضل الجهاد ، وحكمه وبواعثه ، والجهاد طريق النصر. وأفردت هذا الفصل للجهاد خاصة لانه هو الطريق الوحيد الذى ينقذ الامة من الهزيمة ويكسبها العزة والقوة والنصر ، ولا يمكن للمسلمين بدونه أن يعيشوا فى عزة وكرامة ، بل وليس للمسلمين نجاة من الذل والهزيمة الا بالجهاد الذى ماتركه قوم الا ذلوا . لذا كان لزاما أن أبين هذه الفريضة ليتبين قيمتها واثرها باعتبارها طريق النصر والنجاة.

والفصل الثانى بعنوان النصر والهزيمة فى الكتاب والسنة ، وفيه ستة مباحث هى معنى النصر والهزيمة فى الكتاب والسنة ، والغاية من النصر فى الاسلام ، ووجوه النصر الرباني للمؤمنين ووعد الله للمؤمنين بالنصر ، والحكمة فيما يقع من هزيمة المؤمنين بسبب ذنوبهم ، وسنة الله فى النصر والهزيمة.

وهذه المباحث لازمة من اجل التمهيد لموضوع اسباب النصر والهزيمة.

والباب الثاني : الاسباب المعنوية للنصر والهزيمة فى الكتاب والسنة ، كما هو واضح من العنوان خاص بالاسباب المعنوية للنصر والهزيمة ، وجمعت فيه اثنى عشر سببا يدخل فى جملتها الاسباب الشرعية.

والباب الثالث: الاسباب العادية للنصر والهزيمة فى الكتاب والسنة ، خاص بالاسباب العادية ، وجمعت فيه سبعة اسباب.

وحاولت عند عرضي لهذه الاسباب ان اتناولها فى البداية بالتقرير والتأكيد من الجانب النظرى معتمدا فى ذلك على الكتاب والسنة، ثم اتبع ذلك باستعراض بعض الشواهد العملية من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة صحابته الكرام لأؤكد على كل سبب من اسباب النصر والهزيمة من خلال الجانب التطبيقى المتمثل فى جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم وانتصاراته الرائعة. وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم هى التطبيق العملى لتعاليم الكتاب والسنة، وهى سيرة حافلة بدروس النصر بالاضافة الى غيرها من العبر.

الباب الأول «تمهيدی»

الجهاد والنصر في الكتاب والسنة

تمهيـــــــــــد

النصر على الاعداء امنية غالية وعزيزة ، وقضيـــة كبرى تراود كل مسلم يهتم بأمـــور المسلمين . ولكن هل الامانى وحدها تكفى الامة مئونة النصر؟ وهـــــل الكلام والخطب الرنانة هماطريق المسلمين الى النصر ؟

لوكان الامر كذلك لكنا فى حال غير هذا الحال ،اما ونحن فيما نحن فيه من بـــلاء الهزيمة فلنبحث عن الطريق الصادق الذى يصل بنا الى ماننبغى من النصـــر والظفـــر .

ولقد بينت لنا شريعتنا طريق النصر ،وصدقه تاريخ امتنا العريق بما حواه من امجاد وانتصارات لم يسجلها التاريخ لامة منذ زمن بعيد غير امتنا الاسلاميــــة .

فماهو هذا الطريق ؟ انه الجهاد . . ،من سلكه حاز النصر كما دلت علـــى ذلك شريعتنا واثبت صدقه تاريخ امتنا . وقد فصلت الحديث عنه لادراك منزلته واهميتـه فى هذا الدين ،لنتأكد من سلامة هذا الطريق حتى نسير فيه مــــن بدايته واثقي الخطى مطمئنين الى نصر الله .

الفصل الأول

الجهاد في الكتاب والسنة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث :

الأول : فضل الجهاد والشهادة .

الثاني : حكم الجهاد .

الثالث : بواعث الجهاد .

الرابع : الجهاد طريق النصر .

المبحث الأول

فضل الجهاد والشهادة في الكتاب والسنة

المطلب الأول : فضل الجهاد فى القرآن .

وعد الله سبحانه وتعالى المجاهدين بالثواب العظيم - ترغيبا للمؤمنين في الجهاد - فى آيات كثيرة منها قوله تعالى:(ياأيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) (١) .

يدعونا الله تبارك وتعالى فى هذه الآيات -وماأعظمها من دعوة تصدر عن رب العزة والجلال - الى عقد صفقة رابحة معه سبحانه .

وصدر الخطاب بالنداء لتنبيه المؤمنين الى هذه التجارة،وللتنويه بأهميتها حتى لا يفرطوا فيها ولا يفوتهم ربحها ، وخاطبهم الله سبحانه بوصف الايمان (ياأيها الذين آمنوا) لاعلامهم بأن هذا العقد خاص بالمؤمنين ، وانه من مستلزمات الايمان . ووجه اليهم الخطاب بصيغة الاستفهام (هل) تشويقا لهم واشعارا بأهمية مضمون الخطاب. وعبر بلفظ (ادلكم) ليفيد أنه سبحانه هو الذى سيتولى بنفسه ارشاد المؤمنين الى تلك التجارة ، ولاشك أن الانسان اذا وثق فى صدق مرشده وامانته أنس به واطمأن اليه فما بالنا والمرشد هو رب السماوات والارض الذى له الاولى والآخرة، والذى أحاط بكل شيء علما ، ان ذلك ولاشك يحمل المؤمنين على الحرص على هذه التجارة والاستمساك بها اذا كانوا مؤمنين حقا .

وعبر القرآن بلفظ (تجارة) ليوحى بالربح العظيم الذى يناله المؤمن بالجهاد ، وليؤكد على ضمان الصفقة. قال الشوكانى رحمه الله : (جعل العمل المذكور بمنزلة التجارة لانهم يربحون فيه كما يربحون فيها ، وذلك بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار) (٢) .

---

(١) الصف (١٠ - ١٣) .

(٢) تفسير فتح القدير للشوكانى (٥/ ٢٢٢) . الناشر محفوظ العلى . بيروت

وأجمل الله سبحانه وتعالى ربح هذه التجارة بقوله:(تنجيكم من عذاب اليم) وهذا فضل عظيم وفوز كبير. يقول تبارك وتعالى:(فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز)(١).

وبعد ان اجمل القرآن ذكر التجارة، فصلها ببيان السلعة والثمن، أما الثمن فهو الايمان والجهاد فى سبيل الله، واما السلعة فهي مغفرة الذنوب ودخول جنات تجرى من تحتها الأنهار، وفى ذلك من سرور قلب المؤمن وقرة عينه مالا يحاط به. واغراء للمؤمنين كى يحرصوا على هذه التجارة وعدهم الله سبحانه مساكن طيبة، ومزيدا فى اغرائهم بين أن تلك المساكن فى جنات عدن، تلك الجنات التى شرف الله من وصل اليها بدوام الخلود فيها مما استحق أن يسميه الله بالفوز، ولا يكتفى بكونه فوزا بل يصفه بالعظيم، مشيرا الى هذا الفوز باسم الاشارة للبعد لبيان انه نعيم لا يتناهى.

وزيادة فى اغرائهم كذلك بين الله سبحانه أن من جملة ارباح هذه التجارة ربحا دنيويا عاجلا يتمناه المسلمون ويحبونه كل الحب، الا وهو النصر على الاعداء والفتح القريب(واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) والمراد بالفتح القريب : فتح مكة، وقيل فتح فارس والروم(٢).

كل هذا الاغراء وماذكر من الثواب الآجل والربح العاجل انما هو للحث على الجهاد بمايدل على عظيم فضله وعلو منزلته عند الله تبارك وتعالى.

واكد القرآن على فضل الجهاد، وفوز من يتعاطى هذه التجارة فى سبيل الله حيث يقول تبارك وتعالى:(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)(٣).

---

(١) آل عمران : ١٨٥.

(٢) تفسير النسفى (٤/٢٥٣) دار الكتاب العربى، بيروت.

(٣) التوبة : (١١١).

بينت الآية الكريمة أن ثمن دخول الجنة هو الجهاد بالمال والنفس ، ووعد الله سبحانه أن يمنح السلعة لمن قدم الثمن ، وجعل سبحانه هذا الوعد عهدا على نفسه-تأكيدا للأمر-لترغيب المؤمنين فى هذه التجارة .

وعد د ابن القيم-رحمه الله-مااشتملت عليه هذه الآية من وجوه لتأكيد تمام الصفقة وضمان الربح حيث قال : (فجعل الله سبحانه ههنا الجنة ثمنا لنفوس المؤمنين واموالهم ، واكده بانواع من التوكيدات :-

اولا : اخبارهم بصيغة الخبر المؤكد باداة (ان) .

ثانيا : الاخبار بذلك بصيغة الماضى الذى وقع وثبت واستقر .

ثالثا : اضافة هذا العقد الى نفسه سبحانه ، وانه هو الذى اشترى هذا المبيع .

رابعا : انه اخبر بانه وعد بتسليم هذا الثمن ، وعدا لا يخلفه ولا يتركه .

خامسا : انه اتى بصيغة (على) التى للوجوب اعلاما لعباده بان ذلك حق عليه احقه هو على نفسه .

سادسا : انه اكد ذلك بكونه حقا عليه .

سابعا : انه اخبر عن محل هذا الوعد ، وانه فى افضل كتبه المنزلة من السماء وهى التوراة والانجيل والقرآن .

ثامنا : اعلامه لعباده بصيغة استفهام الانكار ، وانه لا احد اوفى بعهده منه سبحانه .

تاسعا : انه سبحانه وتعالى امرهم ان يستبشروا بهذا العقد ، ويبشر به بعضهم بعضا ، بشارة من قدتم له العقد ولزم ، بحيث لا يثبت فيه خيار ، ولا يعرض له مايفسخه .

عاشرا : انه اخبرهم اخبارا مؤكدا بان ذلك البيع الذى بايعوه به هو الفوز العظيم ، والبيع ههنا بمعنى المبيع الذى اخذوه بهذا الثمن ، وهو الجنة) .(١)

وللاستاذ سيد قطب رحمه الله تعليق لطيف يقول فيه:(. . حقيقة هذه البيعة وهذه المبايعة كما سماها الله كرما منه وفضلا وسماحة ان الله سبحانه قد استخلص لنفسه انفس المؤمنين واموالهم ، فلم يعد لهم منها شيء . . لم يعد لهم ان يستبقوا منها

---

(١) نقلا عن موارد الظمآن لدروس الزمان/عبدالعزيز السلمان (٣ / ٤٩٠) الطبعة الثالثة مطبعة المدينة بالرياض.

بقية لا ينفقونها فى سبيله . . . انها صفقة مشتراة لشاريها أن يتصرف بها كما يشاء . . وليس للبائع فيها من شئ سوى أن يمضى فى الطريق المرسوم . . والثمن هو الجنة . . والطريق هو الجهاد والقتل والقتال . . والنهاية هى النصر او الاستشهاد ، من ارتضى الثمن ووفى فهو المؤمن . . فالمؤمنون هم الذين اشترى الله منهم فباعوا . . ، ومن رحمة الله ان جعل للصفقة ثمنا ، والا فهو واهب الانفس والاموال . . ولكنه كرم هذا الانسان فجعله مريدا ، وكرمه فجعل له ان يعقد العقود ويمضيها - حتى مع الله - . . .) (١) .

ورفع الحق تبارك وتعالى درجة المجاهدين ، وجعلها من اعظم الدرجات وذلك لرفعة فضل الجهاد . يقول سبحانه وتعالى: (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم .) (٢) .

سجل القرآن فى هذه الآيات ثواب المجاهدين ، ودرجتهم العالية الرفيعة ، ووصف هذه الدرجة بأنها أعظم الدرجات عنده ، فاعلى انواع الثواب ثواب المجاهدين ، ولا يدركهم الامن قضى دهره صائما لا يفطر ، وليله قائما لا يرقد . واضاف العندية لله سبحانه ليؤكد على حصول المجاهدين على هذه الدرجة الرفيعة ، وليفيد بأنها ليست من نوع الدرجات التى لدى البشر ، كما انها ليست فى يد احد منهم . ولا شك ان ميزان الله ليس كميزان الخلق ، وعدل الله لا يصل اليه احد من الخلق ، فلا خوف اذا ولا وجل مِنْ فقد الثواب فهو فى حفظ من لا تضيع عنده الودائع ولا تنتهى كنوزه وخزائنه . ولم تكتف الآيات بذكر درجة المجاهدين ، بل وصفتهم بانهم هم الفائزون: (واولئك هم الفائزون) ، وكأن احدا غيرهم ليس من الفائزين ، وذلك اكراما للمجاهدين وتقديرا لهم على جهادهم ، وهو اغراء للمؤمنين كى يحرصوا على الجهاد ليكونوا من الفائزين .

وبشرت الآيات المجاهدين بالنعيم المقيم ، والرحمة والرضوان ، (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم .) .

---

(١) فى ظلال القرآن . سيد قطب (٣/ ١٧١٦) دار الشروق ، الطبعة الثامنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .
(٢) التوبة (٢٠ - ٢٢) .

واسند الله سبحانه الى نفسه تبشيرهم عطفا عليهم وحبا لهم. كما أن البشارة تكون لامر سار فاذا سمعها صاحبها يحب أن يطمئن لصحة هذه البشارة فيسأل عمن جاءت، فيجد انها من الله سبحانه ، فينقطع عن نفسه كل شك او ريب، ويبلغ به اليقين ذروته، حتى ليندفع المجاهد - عندها - بروحه الى المعركة حرصا منه على احراز مابشره الله به من الرحمة والرضى ، ودخول الجنات ، والفوز بالنعيم المقيم. وجاءت هذه الامور الثلاثة بصيغة النكرة لفائدة بينها الشوكاني بقوله:(والتنكير فى الرحمة والرضوان والجنات للتعظيم والمعنى انها فوق وصف الواصفين ، وتصور المتصورين)(١) .

ووصف الله سبحانه هذا النعيم الذى بشروا به بالديمومة والإستمرار (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) زيادة فى اغرائهم، ولادخال مزيد من الغبطة والسرور الى نفوسهم. وعقب للتأكيد على ذلك بقوله:(خالدين فيها ابدا) . والاوصاف (مقيم) و (خالدين) و (ابدا) احدها يكفى لبيان المعنى المشار اليه ، ولكن جاءت الثلاثة زيادة فى التأكيد من جهة ، ولابراز معنى اضافى خاص بكل منها .

فالالفاظ الثلاثة يتميز كل واحد منها بلون خاص يساعد فى ابراز وتأكيد المعنى المذكور، فلفظ (مقيم) جاء صفة للنعيم الذى اعده الله جزاء للمجاهدين ، ولفظ (خالدين) وصف لبيان حياة المجاهدين فى تلك الجنات وذلك النعيم ، ولفظ (ابدا) جاء خاصا بالزمن ذاته ، ولعل هذا سر من اسرار التكرار القرآنى الذى يأتى ليؤدى معنى يبرز المعنى الاساسى ولكن من زاوية اخرى .

وعقب سبحانه بقوله (ان الله عنده اجر عظيم) تأكيدا لما سبق ذكره من الثواب، وتعليلا كذلك لكونه اعطاهم هذه الاجور العظيمة، أى اعطاهم الله سبحانه هذه الاجور العظيمة لكون الاجر الذى عنده عظيما يهب منه مايشاء ، وهو ذو الفضل العظيم.

---

(١) تفسير فتح القدير للامام الشوكانى (٢ / ٣٤٥) .

المطلب الثانـــــي :-

فضل الجهاد فى السنـــــة.

السنة النبوية المطهرة حافلة بالاحاديث الصحيحة التى تبين فضل الجهاد ومرتبته ، وثواب المجاهد وجزاءه.ولاعتبارات البحث سأقتصر على بعض هذه الاحاديث ، محاولا القاء الضوء عليها بالدراسة والتحليل لابراز أهمية الجهاد الذى يمثل الطريـــق السليم لتحقيق النصر على الاعداء .

اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - والنسائى وابن ماجه عن ابى هريرة رضى الله عنه قال :(١) (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تضمن الله لمن خرج فى سبيله ، لايخرجه الا جهادا فى سبيلى،وايمانا بى وتصديقا برسلى ، فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا مانال من اجر او غنيمة ، والذى نفس محمد بيده مامن كلم(٢) يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم ، لونه لون دم وريحه مسك ، والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ماقعدت خلاف سرية(٣) تغزو فى سبيل الله ابدا ، ولكن لااجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعـــة ويشق عليهم ان يتخلفوا عنى ، والذى نفس محمد بيده لوددت انى اغزو فى سبيل اللــه فاقتل ، ثم اغزو فاقتل ، ثم اغزو فاقتل) .

يبشر الرسول عليه الصلاة والسلام المجاهدين بالجنة يدل عليه قوله :

(تضمن الله لمن خرج فى سبيله . . - الى قوله - ان ادخله الجنة) ، وتأكيدا للبشارة عبر بلفظ (تضمن) ،وفى روايات اخرى عبر بلفظ (تكفل) و (توكل) وكلها بمعنى تحقيق الوعد من الله سبحانه للمجاهدين بدخول الجنة ، والزم نفسه سبحانه بتنفيذ الوعـــد

---

(١) اخرجه البخارى فى الجهاد ، باب قول النبى : (احلت لكم الغنائم . .) (٢ / ١٩٢)
ط . دار المعرفة - بيروت . ومسلم فى الامارة ، باب فضل الجهاد (٣ / ١٤٩٥)
ط . دار الفكر - بيروت. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .
والنسائى فى الجهاد ، باب ماتكفل الله عزوجل لمن يجاهد فى سبيله (٦ / ١٧١)
دار الفكر - بيروت - الطبعة الاولى (١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م) .
وابن ماجه فى الجهاد ، باب فضل الجهاد (٢ / ٩٢٠) دار الفكر - بيروت
تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

(٢) الكلم : الجرح ، انظر منال الطالب فى شرح طوال الغرائب لابن الاثير. تحقيق د / محمود الطناحى (٥١٩ ، ٥٣٢) طبعة مركز البحث العلمى بجامعة ام القرى / مطبعة المدنى .

(٣) السرية : تطلق على الطائفة من الجيش. انظر منال الطالب لابن الاثير ص٥٧ .

- مع انه لا يلزم في حقه شيء - لتطمين المجاهدين بحصول ما وعدهم به . قال العيني رحمه الله :(وعبر صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى بتفضله بالثواب بلفظ الضمان ونحوه بما جرت به العادة بين الناس بما تطمئن به النفوس وتركن اليه القلوب) (١) .

وكرر لفظ الضمان بقوله (فهو على ضامن) لتأكيد الوعد المذكور . وقوله (لا يخرجه الا جهادا في سبيلي ، وايمانا بي ، وتصديقا برسلي) شرط لحصول المجاهد على ماذكر من الثواب ودخول الجنات . فالاخلاص شرط قبول الاعمال ومنها الجهاد .

ولترغيب المؤمنين في الجهاد بين المصطفى عليه الصلاة والسلام ان المجاهد لاتخلو حاله من احد امرين ، كلاهما خير : الشهادة او الرجوع بسلامة (فهو على ضامن أن ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا مانال من اجر او غنيمة) .

فبالشهادة يدخل المجاهد الجنة حال استشهاده اودخولا اوليا مع السابقين والمقربين بلاحساب ، واذا رجع سالما فانه يرجع باجر وغنيمة ، او بالاجر فقط اذا لم يغنموا في المعركة .

واختلف العلماء في معنى قوله عليه السلام (مع اجر او غنيمة) ، فذهب بعضهم الى أن (أو) على بابها وليست بمعنى الواو ، والمعنى يرجع باجر لمن لم يغنم ، أوغنيمة ولا أجر . وجمهور العلماء على أن (أو) هاهنا بمعنى الواو الجامعة على مذهب الكوفيين . ويؤيد رأى الجمهور وقوعها بالواو في رواية ابى داود ، وعند مسلم من طريق يحيى بن يحيى ، وعند النسائى من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة ، وعند ابن ماجه من طريق عطية عن ابى سعيد الخدرى ، والتقدير : أو يرجعه بأجر وغنيمة (٢) .

وذهب الى هذا الراى جماعة من العلماء منهم : ابن بطال ، وابن التين ، والقرطبى ، وبه جزم ابن عبد البر ، ورجحه التوربشتى شارح المصابيح ، والكرمانى ، والعينى والنووى (٣) .

وأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث بان المجاهد المجروح يأتى يوم القيامة بجرحه وهو ينزف دما برائحة المسك ليكون ذلك وسام شرف له امام الاشهاد ،

---

(١) عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعلامة بدر الدين العينى (١٤ / ٨٤) طبعة دار احياء التراث العربى . بيروت .

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى (١٣ / ٢١) دار احياء التراث العربى . بيروت الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) . وانظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعينى (١٤ / ٨٤) .

ملاحظة : راجعت الحديث في المراجع المذكورة فلم اجده بهذا اللفظ ، ووجدته عند ابن ماجه باللفظ المذكور فاثبته ، وهو زيادة على ماذكر النووى والعينى .

(٣) انظر عمدة القارى للعينى (١٤ / ٨٤) . وصحيح مسلم بشرح النووى (١٣ / ٢١) .

، وشهادة حال ينطق بها جرحه ايماء بفضله ودرجته المميزة عندالله ،وفى ذلك اغراء للموءمنين على جهاد الاعداء .

واقسم الرسول عليه الصلاة وافضل السلام بانه لا يحب ان يتخلف عن سرية تقاتل فى سبيل الله (والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ماقعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله ابدا . ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عنى) وبين كذلك انه لا يترك الخروج فى بعض السرايا حبا فى القعود ولكن رأفة بامته حيث ان الصحابة حريصون على الخروج للجهاد مع رسول الله ولا يجد الوسيلة التى يحملهم عليها ،كما لا يجدون هم الوسيلة التى يركبونها،ويكرهون ان يتخلفوا عن رسول الله ،فلا يخرج رحمة بهم.

ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم باظهار رغبته فى الخروج خلف كل سرية لولا المشقة على امته ،بل تمنى - وهو اشرف الخلق - تمنى على ربه ان يغزو فى سبيله فيقتل،ثم يحييه الله ليغزو ويستشهد كذلك . وكرر ذلك ثلاثا،وقدمه بالقسم ليرغب الموءمنين فى الجهاد ،وليشير به الى فضل المجاهد وعلو منزلته عند الله .

واخبر عليه الصلاة والسلام بأن الجهاد افضل الطاعات واعظم القربات،وذلك لما فيه من صيانة للامن فى الدين والنفس والمال والعرض والارض. اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - ومالك والنسائى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال:(١)(قيل للنبى عليه الصلاة والسلام مايعدل الجهاد فى سبيل الله عزوجل . قال لا تستطيعونه . قال : فاعادوا عليه مرتين

---

(١) اخرجه البخارى فى الجهاد . باب فضل الجهاد والسير (٢ / ١٣٥) .

واخرجه مسلم في كتاب الامارة/ باب فضل الشهادة فى سبيل الله (٣ / ١٤٩٨) .
ومالك فى الموطأ . كتاب الجهاد . باب الترغيب فى الجهاد (٢٩٤) دار النفائس بيروت-الطبعة السابعة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .
والنسائى فى كتاب الجهاد . باب مايعدل الجهاد فى سبيل الله عزوجل (٦ / ١٩) .

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
١٢٢٢

او ثلاثا كل ذلك يقول : لاتستطيعونه . وقال فى الثالثة : مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله تعالى) .

سأل بعض الصحابة - فى هذا الحديث - رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عمل يعدل الجهاد اذا لم يجاهدوا ، وكرروا السؤال مرارا رجاء أن يظفروا بطاعة وقربة الى الله تعالى تعدل الجهاد ، وفى كل مرة يقول لهم الرسول عليه الصلاة والسلام (لاتستطيعونه) ، وكشف لهم سر ذلك حيث ان المجاهد فى سبيل الله لا يساويه طائع مهما اجتهد فى طاعته ، اذ لا يساويه فى عمل الخير الذى هو فيه الا صائم ليله ونهاره لا يفطر ، وقائم ليله ونهاره يصلى ويتلو كتاب الله عن ظهر قلبه لا يفتر ، وذلك غير ممكن لان طبيعة الانسان لاتقوى على هذا الحال لما يعتريها من الوهن والضعف والحاجة الى الطعام والشراب. وقد اراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذا المثل ان يبين للسائلين ان الجهاد هو افضل الاعمال وان المجاهد لا يلحقه الا من اتصف بصفته .

واكد الرسول عليه الصلاة والسلام على فضل الجهاد على سائر العبادات مشيرا اليها بذكر الصلاة التى هى عماد الدين وام العبادات .

اخرج الترمذى واحمد والحاكم - واللفظ له - عن ابى هريرة رضى الله عنه (١) (ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مر بشعب فيه عيينه من ماء عذب فاعجبه طيبه وحسنه فقال : لو اعتزلت الناس واقمت فى هذا الشعب . ثم قال : لا افعل حتى استأمر رسول الله ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لاتفعل فان مقام احدكم فى سبيل الله افضل من صلاته فى اهله ستين عاما ، الاتحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ، اغزوا فى سبيل الله ، من قاتل فى سبيل الله فواق (٢) ناقة وجبت له الجنة) . وفى رواية الترمذى (سبعين عاما) .

---

(١) اخرجه الحاكم فى المستدرك ، وصححه (٢ / ٦٨) مطابع النصر الحديثة. واخرجه الامام احمد فى المسند (٢ / ٤٤٦) المكتب الاسلامى . بيروت ط . الثانية ٩٨هـ ٧٨م والترمذى فى ابواب الجهاد ، باب فى الغدو والرواح (٤ / ١٨١) وحسنه ، ط . دار احياء التراث العربى . وحسن الالبانى اسناده كذلك فى مشكاة المصابيح (٢ / ١١٢٦) ط . المكتب الاسلامي. قلت : واسناد الحديث حسن لأجل هشام بن سعد فهو صدوق . انظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلانى (٢ / ٣١٨) تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الثانية ٩٥هـ ٧٥م . وتهذيب التهذيب لابن حجر (١١ / ٣٩) دار الفكر العربى . وميزان الاعتدال للذهبى (٤ / ٢٩٨) تحقيق على البجاوى - دار المعرفة - بيروت .

(٢) فواق ناقة : بفتح الفاء وضمها اى قدر الحلبتين من الناقة . انظر النهاية فى غريب الحديث والاثر (٣ / ٤٧٩) للامام مجد الدين ابى السعادات المبارك بن الجزرى ... والمكتبة الاسلامية .

لقد رغب هذا الصحابى فى الاعتزال فى مكان بعيد عن الناس، يقف نفسه للصلاة والعبادة، وليبتعد عن المعاصى وشرور الناس بسبب المخالطة. ولكنه لم ينفذ فكرته حتى يسأل النبى عليه الصلاة والسلام ، وهذه عادة الصحابة رضوان الله عليهم. وجاء الجواب واضحا وصريحا وقويا حيث قال (لاتفعل) وهذا نهى صريح ،ثم ارشده عليه الصلاة والسلام الى الطريق الاصوب، والى افضل الطاعات الا وهو الجهاد حيث قال له (فان مقام احدكم فى سبيل الله . .) وبين له الثواب العظيم الذى يناله المجاهد ،حيث ان الوقفة الواحدة فى سبيل الله - وذلك على تقدير محذوف - افضل من مقامه فى بيته يصلى ستين او سبعين عاما ، فكيف بمن عاش حياته مجاهدا فى سبيل الله . والعدد هنا ليس المراد منه التحديد بل التكثير،(١) وفى هذا من الترغيب بما يحفز المؤمنين للجهاد والثبات فى وجه الاعداء.

وزيادة فى الترغيب دلهم على ان ذلك سبب فى تكفير السيئات ودخولهم الجنات التى يحبونها ويتشوقون اليها (الاتحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة) ثم حثهم عليه الصلاة والسلام على الجهاد بقوله (اغزوا فى سبيل الله) وكرر ذكر ثواب المجاهدين بمايدل على كرم الله وعطائه الوافر حيث ان الجهاد لو بمقدار زمن مابين الحلبتين من الناقة يكفل لصاحبه دخول الجنة.

ومضى المصطفى عليه الصلاة والسلام فى حث الصحابة (رضوان الله عليهم) ومن ورائهم الامة الاسلامية على الجهاد والترغيب فيه من خلال ذكر الثواب العظيم الذى اعده الله سبحانه للمجاهدين . ويصور هذا الثواب بصور عديدة اغراء للمؤمنين وتحفيزا لهم حتى ان من يسمع هذا الثواب بقلب واع فانه لا يتوانى لحظة عن الجهاد ، وهذا ماكان عليه جيل الصحابة رضوان الله عليهم . وهاهو الرسول عليه الصلاة والسلام يبين فضل الجهاد فى صورة يتضح فيها الاغراء باروع معانيه.

اخرج الشيخان(٢) - واللفظ للبخارى - عن سالم ابى النضر مولى عمر بن عبيد الله - وكان كاتبا له - كتب اليه عبدالله بن ابى اوفى فقرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى للامام محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفورى (٥/ ٢٩١) ط. دار الفكر ،الطبعة الثالثة ٩٩هـ ٧٩م.

(٢) اخرجه البخارى فى كتاب الجهاد . باب كان النبى اذا لم يقاتل اول النهار . . (٢/ ١٦٤).

واخرجه مسلم فى كتاب الجهاد . باب كراهية تمنى لقاء العدو (٣/ ١٣٦٢).

فى بعض ايامه التى لقى فيها انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام فى الناس قال : ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال : اللهم منزل الكتاب، ومجرى السحاب ، وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم.)

اخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن حال المجاهد فى اثناء جهاده للعدو ، اذ تكون الجنة بين يديه ، دانية منه الى حد ان ظل سيفه كشجرة تضرب اغصانها فى الجنة. واعلام الرسول بهذا يمثل اعلانا لكل من أراد الجنة بان الطريق اليها يلزمه ان يحمل سلاحه من سيف او رمح او بندقية. . فان الجنة حينها تكون قريبة منه ، او يكون هو قريبا منها ، بل ويعيش فى ظلها حالة رفعه سلاحه فى وجه عدوه. هكذا فهم الصحابة دينهم ووعوا خطاب رسولهم واستجابوا لندائه.

اخرج الامام مسلم - واللفظ له - والترمذى عن ابى بكر بن عبد الله بن قيس عن ابيه قال :(1) (سمعت ابى وهو بحضرة العدو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ابواب الجنة تحت ظلال السيوف. فقام رجل رث الهيئة فقال : يا ابا موسى آنت سمعت رسول الله يقول هذا؟ قال : نعم ، قال : فرجع الى اصحابه فقال : اقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن(2) سيفه فالقاها ، ثم مشى بسيفه الى العدو ، فضرب به حتى قتل).

لقد سمع هذا الصحابى كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقلب واع وصدر منشرح ، فعملت عملها اذ انطلق فور سماعه للحديث الى المعركة رغبة فيما عند الله وزهدا فيما عند الناس، وكسر جفن سيفه لكى يختم بهذا العمل سجل حياته ويفوز بالجنة.

---

(١) اخرجه مسلم فى كتاب الامارة. باب ثبوت الجنة للشهيد (٣/١٥١١).
واخرجه الترمذى فى فضائل الجهاد . باب ماجاء فى اى الاعمال افضل (٤/١٨٥).
(٢) جفن سيفه : بفتح الجيم واسكان الفاء هو غمده . انظر غريب الحديث لابن الاثير (١/٢٨٠).

لقد اصبحت الدنيا فى نظر هذا الصحابى لاتساوى شيئا ان لم يجاهد فيهـــــا .

وهاهو المصطفى عليه الصلاة والسلام يبين لنا حقيقة الدنيا وقيمة ماتمثله بالنسبـــة الى الآخرة .

اخرج الشيخان - واللفظ للبخارى عن انس بن مالك (رضى الله عنه) قول النبى صلى الله عليه وسلم (لغدوة فى سبيل الله او روحة خير من الدنيا ومافيها)[(١)].

ان الدنيا لوجمعت بحذافيرها لاتعدل ثواب مشية واحدة فى الجهاد . هــذا هو الميزان الحقيقى ، ميزان السماء ، والقيمة الحقيقية للدنيا ، والمنزلة الرفيعة التى يمثلها الجهاد ، فهل بقى فى نفس المؤمن حب الدنيا بعد كل هذا ، وهل لعاقل ان يترك الجهاد بعد كل هذا الثواب ، وهل لأمة ان تتنكب عن طريق الجهاد ، اذاً تكون الخسارة فى الدنيا بالذل والهوان والهزيمة ، وفى الآخرة بالعقاب من الله تعالى .

من خلال هذا الفضل العظيم الذى وعد الله به المجاهدين على جهادهــم ندرك قيمة الجهاد فى هذا الدين ، وندرك كيف يعد الاسلام المسلمين للنصر وكيــف يزرع اسباب النصر فى نفوس أبناء الامة الاسلامية .

إن الله سبحانه وتعالى لم يفرض الجهاد الا لمصلحة شرعية دنيوية واخرويــة ، فليس الجهاد مامورا به فى ذاته وانما شــرع لحكمة وغاية يهدف الى تحقيقها ، تتمثــل فى اعلاء كلمة الله فى الارض . ويلزم من هذا الاقرار بان الجهاد هو الوسيلة التــى يتحقق بها النصر على الاعداء ، واعلاء كلمة الله . ومن يريد النصر فليس له من سبيل ســوى الجهـــاد ....

---

(١) اخرجه البخارى فى كتاب الجهاد : باب الغدوة والروحة فى سبيل الله (٢ / ١٣٦) .

ومسلم فى كتاب الامارة . باب فضل الغدوة والروحة فى سبيل الله (٣ / ١٤٩٩) .

المطلب الثالث :

فضل الشهادة فى الكتاب والسنة .

ذكر الحق تبارك وتعالى الشهداء فى كتابه العزيز تكريما لهم، ورفعا من شأنهم لبذلهم ارواحهم رخيصة فى سبيله . يقول سبحانه وتعالى : (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياءعند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) (١) .

قوله تعالى (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا) نهى من الله سبحانه وتعالى عن مجرد الحسبان وهو الظن -فضلا عن الاعتقاد- بان الذين يقتلون فى سبيل الله اموات. واضرب عن هذا الظن الخاطىء ، وارشد الى الاعتقاد السليم الذى يقرر الحياة للشهداء بقوله (بل احياء عند ربهم يرزقون) . واضاف العندية هنا الى ضميرهم تكريما لهم وتشريفا ، نقل الشوكانى عن سيبويه قوله فى نوع العندية فى الآية (هذه عندية الكرامة لاعندية القرب.) (٢) .

واشار الحق تبارك وتعالى هنا الى نفسه بصفة الربوبية التى تدل على تربيته لهم ورعايته وتكفله بكل مافيه انعامهم.

ولدفع ماقد يتوهمه البعض باعتبار الظاهر -سواء فى كون الشهداء احياء ، أوفى نوع حياتهم- فان الله سبحانه اثبت لهم الحياة ، وفصل بما يدل على انها حياة حقيقية ، اذ صرح بانهم يرزقون وذلك من نعيم الجنة ، وبانهم يفرحون ويستبشرون كذلك ، وهذه كلها مظاهر تدل على حياتهم الحقيقية وليس هذا فحسب بل ويهتمون بشأن اخوانهم الآخرين الذين لم يلحقوا بهم فيطمئنونهم بان لا خوف عليهم فى الدنيا من القتل فانه عين الحياة التى يجب ان يرغب فيها ، فضلا عن ان تخاف او تحذر ، ويستبشرون بكل ذلك ، ويستبشرون كذلك بنعمة الله وفضله . ونكر النعمة والفضل حتى تذهب النفس فيهما كل مذهب ، مما يزيد المؤمنين رغبة فيهما ، وتلهفا للحصول عليهما . ولاشك ان هذه الاوصاف تعد من مظاهر الحياة الكريمة التى من الله بها على الشهداء ، وفى هذا كله تقدير لهم واى تقدير ...) وترغيب للذين لم يلحقوا بهم للسير فى طريقهم واى ترغيب . . .

---

(١) سورة آل عمران (١٦٩ - ١٧١) .

(٢) تفسير فتح القدير للامام الشوكانى (١ / ٣٩٩) .

هذا وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام حقيقة الحياة التى صرحت بها الآيات السابقة، وذلك فيما اخرجه الامام مسلم عن مسروق رضى الله عنه قال :[١] (سألنا عبدالله* عن هذه الآية (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله اموانا بل احياء عند ربهم يرزقون) قال : اما انّا قد سألنا عن ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام : ارواحهم فى جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل ، فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا؟ قالوا: اى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا انهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا: يارب نريد ان ترد ارواحنا فى اجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة اخرى ، فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا) .

وفى سبب نزول الآية اخرج ابوداود - واللفظ له - واحمد والحاكم والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنه قال :[٢] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى جوف طير خضر ، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ اخواننا انا احياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا[٣] عن الحرب، فقال الله سبحانه انا ابلغهم عنكم قال فانزل الله عزوجل (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا - الى آخر الآية -) .

١) اخرجه مسلم فى كتاب الامارة. باب ان ارواح الشهداء فى الجنة (٣/٢/١٥٠٢) واللفظ له. وابن ماجه فى كتاب الجهاد . باب فضل الشهادة فى سبيل الله (٢/٩٣٦).

(*) عبدالله بن مسعود . انظر شرح النووى على صحيح مسلم (١٣/٣١).

(٢) اخرجه الحاكم فى المستدرك ، وصححه (٢/٨٨) . واحمد فى المسند (١/٢٦٥، ٢٦٦) ، وصححه الاستاذ احمد شاكر. انظر المسند بتحقيقه (٤/١٢٣، ١٢٤) ط. دار المعرفة بمصر ٧٥هـ/٥٦م. واخرجه ابوداود فى الجهاد باب فى فضل الشهادة (٣/١٥) ط. دار احياء التراث العربى ، بيروت . واخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٣/٣٠٤) تحقيق د /عبدالمعطى قلعجى، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت. الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م. قلت :الحديث حسن لأجل محمد بن اسحاق فانه صدوق . ولا يضر تدليسه مادام قد صرح بالسماع فى رواية الامام احمد .

(٣) لا ينكلوا : بضم الكاف اى لا يجبنوا . انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٥/١١٧.

واخرج الترمذى - واللفظ له - وابن ماجه فى سبب نزول الآية كذلك عن جابربن عبد الله قول النبى صلى الله عليه وسلم له (١) (الا اخبرك ماقال الله لابيك ؟ قال : بلى . قال : ماكلم الله احدا الا من وراء حجاب، وكلم اباك كفاحا ، فقال ياعبد الله تمنّ علي اعطك قال : يارب احيني فاقتل فيك ثانية . قال : انه سبق منى انهم اليها لايرجعون ، قال : يارب فابلغ من ورائى ، فانزل الله تعالى (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) .

مما سبق تبين لنا فضل الشهداء ، وحياة النعيم التى من الله بها عليهم من طيب مأكل ومشرب ومقيل ، وهاهى ارواحهم فى جوف طيور خضر تحلق فى ارجاء الجنة ، وهاهم يتمنون على الله ان يحييهم مرة اخرى ليستشهدوا فى سبيله ثانية وذلك لعظيم مارأوا من ثواب الشهادة .

وتأكيدا على حياة الشهداء ، وانها حياة حقيقية فى الجنة ، نهى الله سبحانه عباده المؤمنين ان يصفوا من يقتلون فى سبيل الله بانهم اموات ، ولم يكتف الحق سبحانه بذلك بل اكد حياتهم الحقيقية فى الجنة وان لم نشعر بها .

يقول سبحانه وتعالى (ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء ولكن لاتشعرون) (٢) لقد خص الله عزوجل الشهداء بوصفهم " احياء " تكريما لهم وتشريفا ، والحكمة فى ذلك ان من يذهب الى المعركة يظن بانه اذا قتل مات وانتهت حياته ، ومن رآه من المسلمين وقد انتقل من بين ظهرانيهم ظن به مثل ذلك باعتبار ظاهر مارأى، فاقتضى الامر تسفيه هذا الظن وتقرير الحياة للشهداء على الحقيقة جزاء لهم من جنس عملهم ، وتخليدا لهم على فعلهم ، وترغيبا لغيرهم من المسلمين فى السير على اثرهم كي يعيشوا الحياة الحقيقية الخالدة .

---

(١) اخرجه الترمذى فى كتاب التفسير . سورة آل عمران (٥ / ٢٣٠) . وحسنه . واخرجه ابن ماجه باسناد حسن كذلك فى الجهاد . باب فضل الشهادة (٢ / ٩٣٦) . قال المنذرى : رواه الترمذى وحسنه ، وابن ماجه باسناد حسن . انظر الترغيب والترهيب للمنذرى (٣ / ١٣٨) . طبعة دار الفكر .

(٢) سورة البقرة آية (١٥٤) .

وصدر الخطاب فى الآية بالنهى (ولاتقولوا) مبالغة فى تأكيد حياة الشهداء ونفيا مؤكدا لدعوى موتهم. ونهى الله سبحانه عن مجرد القول بموتهم فضلا عن الاعتقاد به. واكد على حياتهم الحقيقية بقوله (بل احياء) مصدرا هذه الجملةب(بل) الاضرابية الدالة على خطأ ماقبلها وصواب مابعدها.

ولان الناس يحكمون على من يقتل فى المعركة بالموت باعتبار العادة المحسوسة والظاهر الملموس، لذا فقد ختمت الآية بقوله (ولكن لاتشعرون) اشارة الى أن حياة الشهداء لاتدرك بالحواس، بل ولا بالمشاعر، وان كانت حقيقة ثابتة فى نفس الوقت. واتفق جمهور العلماء (١) على ان الشهداء احياء فى الحقيقة، اذ تكون ارواحهم فى اجواف طيور خضر، يأكلون ويتنعمون فى الجنة قال بعضهم : ترد اليهم ارواحهم فى قبورهم فينعمون كما يحى الكفار فى القبور فيعذبون، وقال مجاهد : يرزقون من ثمر الجنة وليس فيها.

والصحيح ان ارواحهم فى جوف طير خضر يتنعمون فى الجنة كما جاء فى حديث مسروق الذى تقدم ذكره.

لقد كرم الله الشهداء بان منع الارض ان تأكل اجسادهم، وميز ارواحهم عن سائر ارواح المؤمنين بدخولها الجنة واستقرارها فيها تسرح حيث شاءت وتأكل من رزق الله ماشاءت قبل ان تقوم الساعة. وللكرم العظيم الذى منا الله به على الشهداء، ولسمو المنزلة التى خصهم الله بها فانهم يتمنون من دون سائر المؤمنين ان يحييهم الله مرات ومرات ليجاهدوا فى سبيله ويفوزوا بالشهادة فى كل مرة.

اخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن انس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :(٢) (مامن احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا وان له ماعلى الارض من شىء غير الشهيد فانه يتمنى ان يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة).

الشهداء يتمنون كما اخبر الرسول عليه الصلاة والسلام، والتمنى من ارقى درجات الرغبة والحب، يتمنون بان يقتلوا فى سبيل الله مرات وهم قد حازوا الشهادة من قبل وذلك لما رأوا من كرم الله وعطائه. فما بالنا ونحن لم نصل درجتهم بعد، ولم نفز بالشهادة مثلهم، يجب ان نكون اشد حرصا واكثر رغبة لاننا فى حاجة الى كرم الله وفضله وهم قد حازوه.

ولكى يطمئن المجاهدون وتستقر نفوسهم على طريق الشهادة، ولكى يتقدم المحجمون فينسون الخوف الذى يحول بينهم وبين الجهاد، فان الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر جملة

---

(١) انظر الجامع لاحكام القران / لابى عبدالله محمد بن احمد القرطبى (٤ / ٢٦٩) الطبعة الثالثة / دار الكتب المصرية. وانظر فتح القدير للشوكانى (١ / ١٥٩، ٣٩٩).

(٢) اخرجه البخارى فى الجهاد / باب الحوار العين (٢ / ١٣٦). ومسلم فى الامارة باب فضل الشهادة (٣ / ١٤٩٨).

من الخصال تصف بعضا من الكرامة التى من الله بها على الشهداء ترغيبا لهم وتحفيزا .

اخرج الامام احمد وابن ماجة والترمذى - واللفظ له - عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (للشهيد عند الله ست خصال :[(١)] يغفر له فى اول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الاكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة فيها خير من الدنيا ومافيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع فى سبعين من اقاربه).

ان هذا الثواب العظيم ليدل على رب كريم ، يهب الثواب بسخاء لا يقدره احد ، ولا يلم به احد ، بل لا يستطيع ان يصفه احد الا بالفاظ مقاربة تقرب المعنى وان كانت لا تمثل الحقيقة ، فليس فى الجنة مما فى الدنيا الا الاسماء ، ومن رحمة الله ان جاءت هذه الاسماء لتقرب الينا المعنى فقط والا فصف لى بربك تاج الوقار الذى جعل للشهيد الياقوتة الواحدة فيه خير من الدنيا وما فيها ، ولا شك ان عقولنا قاصرة عن ذلك لان مافى الجنة اكبر من كل ذلك .

وثواب مثل هذا يستحق منا أن نبذل انفسنا واموالنا وارواحنا - حتى وان كان لكل منا الف روح - نبذلها رخيصة فى سبيل الله لنستحق ثواب الله ونحوز رضاه .

-(١) اخرجه الترمذى فى كتاب فضائل الجهاد . باب ماجاء فى ثواب الشهيد . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب (٤ / ١٨٧) . واخرجه ابن ماجه فى الجهاد ، باب فضل الشهادة (٢ / ٩٣٥) ، واسناده حسن لان فيه هشام بن عمار وهو صدوق ، واسماعيل بن عياش وهو صدوق فى روايته عن اهل بلده ، مخلط فى غيرهم ، وقد روى عن بحير بن سعيد وهو ثقة شامى من بلد اسماعيل . انظر تقريب التهذيب لابن حجر العسقلانى (٢ / ٣٢٠ ، ١ / ٧٣ ، ١ / ٩٣) .
واخرجه الامام احمد فى المسند (٤ / ١٣١) واسناده حسن لان فيه اسماعيل بن عياش يروى عن بحير كذلك ، وبقية رجاله ثقات . قلت ، الحديث حسن لذاته ، صحيح لغيره . ولعل هذا مراد الترمذى بقوله (هذا حديث حسن صحيح) ولعل هذا مراد الالبانى بتصحيحه فى مشكاة المصابيح (٢ / ١١٢٧) والا فالحديث حسن لذاته عند كل منهم .

ولننظر الى الدرجة السامية الرفيعة التى خص الله بها الشهداء ، والتى لا يدنو منها الا من بلغ درجة النبوة. اخرج الدارمي - واللفظ له - والامام احمد والبيهقي عن عتبة بن عبد الله السلمي قال: (١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (القتلى ثلاثة: مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، اذا لقى العدو قاتل حتى قتل، قال النبى فيه: فذلك الشهيد الممتحن (٢) فى خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون الا بدرجة النبوة. ومؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله، اذا لقى العدو قاتل حتى يقتل، قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه مصمصة (٣) محت ذنوبه وخطاياه، ان السيف محاء للخطايا، وادخل من اى ابواب الجنة شاء. ومنافق جاهد بنفسه وماله فاذا لقى العدو قاتل حتى يقتل فذاك فى النار، ان السيف لا يمحو النفاق.).

بهذا الثواب العظيم يرغبنا الرسول عليه الصلاة والسلام فى الجهاد، ويحبب الينا الشهادة، لكى ننصر دين الله، ونعلى شريعته، ونرفع لواءه، وندافع عن بلاد المسلمين واعراضهم واموالهم، ولكى نتبوأ مكاننا فى صدارة الامم، ولكى نقوم بواجبنا الريادى فى قيادة البشرية الى الايمان والهداية والسعادة.

وبهذه التعبئة يعد الاسلام ابناءه للواجب المقدس، ويجعل منهم جيلا للجهاد والنصر، وانها لتعبئة جديرة بأن تحقق العزة والقوة والنصر.

---

(١) اخرجه الدارمى فى الجهاد /باب فى صفة القتل فى سبيل الله (٢ / ١٢٦) الناشر/ حديث اكادمى . باكستان ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. تحقيق عبدالله هاشم قلت: اسناده صحيح . وصححه الالبانى فى مشكاة المصابيح (٢/ ١١٣٣) واخرجه الامام احمد فى المسند (٤ / ١٨٥) وحسن المنذرى اسناده فى الترغيب والترهيب (٣ / ١٤١) . واخرجه البيهقى فى السنن الكبرى فى السير، باب فضل الشهادة (٩ / ١٦٤) ط . دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد . الهند . الطبعة الاولى.

(٢) الممتحن : هو المصفى المهذب . انظر غريب الحديث لابن الاثير (٤/ ٣٠٤).

(٣) فيه مصمصة: اى مطهرة من دنس الخطايا ، يقال مصمص اناءه اذا جعل فيه الماء ، وحركه ليتنظف . انظر غريب الحديث لابن الاثير (٤ / ٣٣٧) .

المبحث الثاني

حكم الجهاد

المطلب الأول : حكم الجهاد في الأصل .

حكم الجهاد في الأصل فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين . يدل على هذا قوله تعالى : (لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما) (١) . ووجه الدلالة في الآية : أن الله سبحانه وتعالى وعد المجاهد والقاعد من غير ضرر بالحسنى ، ولكنّه رفع من درجة المجاهد ولم يذكر القاعد بالإثم ، فلو كان الجهاد فرض عين لذكر القاعد بالإثم لقعوده عنه ، ولما وعده بالحسنى (٢) .

ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى :(وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (٣) .

في هذه الآية الكريمة أمر سبحانه وتعالى المؤمنين أن لا ينفروا جميعا إلى القتال ، بل طائفة منهم تخرج للقتال ، وأخرى تتفقه في علوم الدين . وهذا يدل على أن الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، ولوكان فرض عين لأمر الجميع بالخروج له ، ولما أجاز لغير المعذور أن يتخلف عنه .

كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يبعث السرايا والبعوث للقتال ،

---

(١) النساء (٩٥) .

(٢) احكام القرآن لابى بكر احمد بن على الجصاص (٣/١١٦) دار الكتاب العربى/ بيروت . وتفسير القرآن العظيم لابى الفداء اسماعيل بن كثير (١/ ٥٤١) وشرح النووى على صحيح مسلم (١٣/٤٣) .

(٣) التوبة (١٢٢) .

ويبقى - أحيانا - هو وكثير من صحابته فى المدينة، ولوكان فرض عين للزم كل مسلم بعينه الخروج للقتال، ولما تخلف منهم أحد .

وأجمع العلماء على أن الجهاد فرض كفاية . نقل القرطبى عن ابن عطية قوله فى ذلك : (والذى استمر عليه الإجماع أن الجهاد على كل أمة محمد صلى الله عليه وسلم فرض كفاية ، فإذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقين ، إلا أن ينزل العدو بساحة الإسلام فهو حيئنذ فرض عين) .(١)

وقال ابن رشد : (فالجهاد الآن فرض على الكفاية يحمله من قام به بإجماع أهل العلم فإذا هو جر العدو وحميت أطراف المسلمين ، وسُدّت ثغورهم سقط فرض الجهاد عن سائر المسلمين ، وكان لهم نافلة وقربة مرغباً فيها إلا أن تكون ضرورة مثل أن ينزل العدو ببلد من بلاد المسلمين ، فيجب على الجميع إغاثتهم وطاعة الإمام فى النفير إليهم .)(٢) .

والجهاد فى هذه الحالة يكون لحماية نشر الدعوة الاسلامية ، ولكن يصبح الجهاد فرض عين فى احوال أخرى .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن لإبى عبدالله محمد بن أحمد القرطبى (٣ / ٣٨) .

(٢) كتاب المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية (١ / ٢٦٣) والمعروف بـ (مقدمات ابن رشد) - مؤلفه محمد بن أحمد بن رشد مطبعة دار السعادة . مصر - دار صادر - بيروت .

المطلب الثاني :

الحالات التي يصير الجهاد فيها فرض عيـــــن .

يضبح الجهاد فرض عيـن في حالات هـي :-

الأولى : عند التقاء الجيشيـن :

يصير الجهاد فرض عين على كل من حضر إذا ما التقى جيش المسلمين بجيش الكفار ، ولا يجوز لهم الإنصراف من أرض المعركـة .

يدل على هذا قوله سبحانه وتعالى : (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار * ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) (١) .

نهى الله سبحانه عن التولي يوم الزحف ووصفه بمايشين تقبيحاً لـهذا الفعل ، وتوعد فاعله بالغضب والعذاب في الآخرة ،مما يدل على وجوب الجهاد على من حضر ، وحرمة الفرار من المعركة .

وأمر الله سبحانه المجاهدين بالثبات عند لقاء العدو بقوله :(يأيها الذيـن آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) (٢) . والأمر في الآيـة للوجوب حيث لا صارف يصرفه عن ذلك ، ومن ثم فإنه لا يجوز لمن حضر القتال أن ينصـرف عنه إلا تحرفا لقتال أوتحيزا إلى فئة عندما يجد نفسه سيهلك إذا لم يعتصم بفئـة أخرى . قال الإمام ابن قدامة المقدسي (٣) :(إذا التقى الزحفان وتقابل الصفّـان حرم على من حضر الإنصراف وتعيّن عليه المقام) .

الثانية : إذا عيّن الإمام مسلماً أوفئةً بعينهـا :-

ويجب الجهاد وجوباً عينياً على من استنفره الإمام للجهاد لقوله تعالى:(يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحيـاة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذابـاً أليماً ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير) (٤) .

---

(١) الانفال (١٥ ، ١٦) .
(٢) الانفال (٤٥) .
(٣) المغني بالشرح الكبير للإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي (١٠ / ٣٦٥) دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
(٤) التوبة (٣٨ ، ٣٩) .

قال القرطبي عند هذه الآية:(وقد قيل : إنَّ المراد بهذه الآية وجوب النفير عند الحاجة وظهور الكفرة واشتداد شوكتهم ،-وأضاف القرطبي معلقاً على هذا بقوله - وظاهر الآية يدل على أن ذلك على وجه الاستدعاء ، فعلى هذا لا يتجه الحمل على وقت ظهور المشركين ، فإنّ وجوب ذلك لا يختص بالإستدعاء لأنه متعيّن . وإذا ثبت ذلك فالإستدعاء والإستنفار يبعد أن يكون موجباً شيئاً لم يجب من قبل ، إلا أنّ الإمام إذا عيّن قوماً وندبهم إلى الجهاد لم يكن لهم أن يتثاقلوا عن التعيين ، ويصير بتعيينه فرضاً على من عيّنه لا لمكان الجهاد ولكن لطاعة الإمام.) (١)

وطاعة الامام - فى المعروف - واجبة على الرعية لقوله تعالى:(ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم...) (٢) والجهاد من أُفضل المعروف ، ومن أعظم مصالح الامة ، فالطاعة فيه تجب من باب أولى .

ويدل على وجوب خروج من استنفره الامام إلى القتال ماأخرجه الشيخان - واللفظ لمسلم - عن ابن عباس قال :(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح (فتح مكة) : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة ، وإذا استنفرتم فانفروا .. الحديث) (٣) .

والشاهد فى الحديث قوله:(وإذا استنفرتم فانفروا) وهذا أُمر صريح للمسلمين بطاعة الامام إذا طلب منهم أو من بعضهم الخروج للجهاد . قال النووى فى شرحه : (معناه إذا دعاكم السلطان إلى غزو فاذهبوا) (٤) .

وقال الامام محمد بن عبدالله بن على الخرشي مقرراً وجوب الجهاد على من عيّنه الامام : (إنّ الامام اذا عيّن طائفة تخرج لقتال العدو فإنه يتعين عليها ذلك ، ولا يسعها أن تخالف سواء كانت هذه الطائفة التى عيّنها الامام ممن تلى العدو أم لا ، كانت ممن تخاطب بفرض الجهاد أم لا كالعبد ونحوه كان هناك مانع من منع أحد الأبوين أو ربّ الدّين أم لا) (٥) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - (٨ / ١٤٢)
(٢) النساء (٥٩) .
(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الحج ، باب لا ينفّر صيد الحرم (١ / ٣١٥) . ومسلم فى كتاب الحج / باب تحريم مكة ، وتحريم صيدها وخلاها وشجرها ولقطتها (٢ / ٩٨٦) .
(٤) شرح النووى على صحيح مسلم (٩ / ١٢٣) . وانظر شرح العينى على صحيح البخارى (١٠ / ١٩١) .
(٥) الخرشي على مختصر سيدى خليل مع حاشية الشيخ على بن أحمد الصعيدى العدوى (٣ / ١١١) طبعة دار الفكر - بيروت .

الثالثة : إذا اعتدى العدو على بلد مسلم أو أسر مسلما .

يصير الجهاد كذلك فرض عين إذا مادهم العدو بلداً من بلاد المسلمين لقوله تعالى:(انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) (١) . أمر الله سبحانه المسلمين بالخروج للجهاد شيباً وشباناً، أغنياء وفقراء، رجالاً وركباناً . . ، وهذا التشديد فى الأمر بالجهاد أولى ماينطبق على حالة ماإذا غُزى بلد للمسلمين ،إذ يلزم خروج النساء والرجال،والشباب والشيوخ ، والعبيد والاحرار، الاغنياء والفقراء حتى يتمكنوا من دفع العدو، ويكونون مخاطبين بهذه الآية فى هذه الحالة بصفة خاصة من باب أولى .

قال القرطبي عن هذه الآية : (وقد تكون حالة يجب فيها نفير الكل ، وذلك إذا تعيّن الجهاد بغلبة العدو على قطر من الاقطار ، أو بحلوله بالعُقر، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً ، شبّاناً وشيوخاً ، كل على قدر طاقته ، من كان له أب بغير إذنه ومن لا أب له ، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج ، من مقاتل أو مكثر) (٢) .

وإذا كان بعض العلماء قال بأن الآية منسوخة بقوله تعالى فى أهل الاعذار:(ليس على الضعفاء ولاعلى المرضى ولاعلى الذين لا يجدون ماينفقون حرج . . الآيات) (٣) إلا أننى أميل إلى ماقرره ابن العربى من عدم نسخها اذ قال:(والصحيح أنها غير منسوخة ،وقد تكون حالة يجب فيها نفير الكل إذا تعيّن الجهاد على الأعيان بغلبة العدو على قطر من الأقطار ، أو بحلوله بالعقر ، فيجب على كافة الخلق الجهاد والخروج إليه ، فان قصّروا عصوا) (٤) .

---

(١) التوبة (٤١) .
(٢) أحكام القرآن - القرطبى - (٨ / ١٥١) بتصرف يسير جدا .
(٣) التوبة (٩١ ، ٩٢) .
(٤) أحكام القرآن - ابوبكر محمد بن عبدالله ، المعروف بابن العربى - (٢ / ٩٥٤ ، ٩٥٥) تحقيق على محمد البجاوى - طبعة البابى الحلبى ، وانظر موافقة القرطبى له فى ذلك فى الجامع لأحكام القرآن (٨ / ١٥٠ ، ١٥١) .

واتفق الفقهاء على وجوب الجهاد وجوباً عينياً فى هذه الحالة : قال النووى فى روضة الطالبين:(الضرب الثانى : الجهاد الذى هو فرض عين ، فإذا وطئ الكفار بلدة للمسلمين أو أطلّوا عليها ونزلوا بها قاصدين ، ولم يدخلوا ، صار الجهاد فرض عين) (١).

وقال الكمال بن الهمام فى شرح فتح القدير:(إذا لم يكن النفير عاما فإن كان) بأن هجموا على بلدة من بلاد المسلمين (فيصير من فروض الاعيان) سواء كان المستنفر عدلاً أو فاسقاً فيجب على جميع أهل تلك البلدة النفر ، وكذا من يقرب منهم إنْ لم يكن بأهلها كفاية ، وكذا من يقرب ممن يقرب إن لم يكن بمن يقرب كفاية أو تكاسلوا أو عصوا ، وهكذا إلى أن يجب على جميع أهل الإسلام شرقا وغربا) (٢).

وقال ابن قدامة:(.. ومعناه أن النفير يعمّ جميع الناس، فمن كان من أهل القتال حين الحاجة إلى نفيرهم لمجئ العدو إليهم ، ولا يجوز لأحد التخلف إلا من يحتاج إلى تخلفه لحفظ المكان والأهل والمال ومن يمنعه الأمير من الخروج ، أو من لا قدرة له على الخروج أو القتال) (٣).

وذهب العلماء إلى أن الجهاد يكون فرض عين على جميع المسلمين إذا أسر العدو أحداً منهم . قال القاضى ابوبكر بن العربى:(إذا كان النفير عاماً لغلبة العدو على الحوزة ، أو استيلائه على الأسارى كان النفير عاماً ، ووجب الخروج خفافاً وثقالاً ، وركباناً ورجالاً ، عبيداً وأحراراً ، من كان له أب من غير إذنه ومن لا أب له ، حتى يظهر دين الله ، وتحمى البيضة ، وتحفظ الحوزة ، ويخزى العدو ، ويستنقذ الأسرى . ولا خلاف فى هذا) (٤).

ونقل صاحب المنهاج الخلاف عند الشافعية فى وجوب الجهاد على التعيين لفك الأسير المسلم من العدو ، وصحح الرأى القائل بأنه على التعيين فقال:(ولو أسروا مسلما فالأصح وجوب النهوض إليهم) (٥)، وهذا ماصححه النووى (٦)، وذهب اليه الحنفية (٧).

---

(١) روضة الطالبين للامام النووى (١٠ / ٢١٤) طبعة المكتب الاسلامى .
(٢) شرح فتح القدير - الكمال بن الهمام (٥ / ١٩١) دار احياء التراث العربى .
(٣) المغنى بالشرح الكبير لابن قدامة المقدسى (١٠ / ٣٨٩) .
(٤) أحكام القرآن/ابن العربى (٢ / ٩٥٥) .
(٥) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، تأليف شمس الدين الرملى (٨ / ٥٩) ط. البابى الحلبى - الاخيرة / ١٣٨٦هـ ٦٧م
(٦) انظر روضة الطالبين للنووى . (١٠ / ٢١٦) .
(٧) انظر شرح فتح القدير لابن الهمام (٥ / ١٩١) .

هذا وانّ العالم اليوم يعجّ بالصراعات والحروب الطاحنة، القوى فيها يأكل الضعيف، ويمتص موارده وخاماته، مما دعا إلى وجود تحالفات وتكتلات دولية لتتمكن من صد العدوان ، إذ لم يعد لدولة القدرة على أن تقف بمفردها فى وجه تلك التحالفات والقوى.

والإسلام عظيم فى تشريعاته كما هو عظيم فى عقائده وعباداته ، إذ ربط بين قلوب المؤمنين برباط العقيدة وآصرة الأخوة والمحبة ، وجعلهم أمة واحدة على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وألسنتهم. يقول سبحانه: (انّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (١) ، وقال سبحانه: (انما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) (٢) .

وحرّم الله سبحانه التفرق والتنازع حيث قال : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (٣) .

وقال سبحانه وتعالى : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) (٤) . من هذا يتبيّن أن الاسلام جعل المسلمين أمة واحدة ، تربطهم عقيدة واحدة ، يلزمهم بها أن يقف المسلم بجانب أخيه المسلم فى خندق واحد لدفع كيد المعتدين ، وحماية بلاد المسلمين، ونصرة هذا الدين .

وتشريع الاسلام للجهاد ، وفرضه على المسلمين ، يدل بصراحة على أن فيه النصر والغلبة، والقوة والعزة والمنعة ، وما رغّب الاسلام فى الجهاد هذا الترغيب ، ولا فصّل فى أحكامه وشدّد عليه هذا التفصيل والتشديد الا لما فيه من أسباب نصر المسلمين ، وأسباب نجاتهم من الذل والهزيمة امام المعتدين ... .

---

(١) الأنبياء (٩٢) .
(٢) الحجرات (١٠) .
(٣) الانفال (٤٦) .
(٤) آل عمران (١٠٥) .

المطلب الثالث :

المعذورون من الجهاد

لا يجب الجهاد في حق أصناف من الناس لأعذار تحول بينهم وبين تأدية واجب الجهاد .

يقول سبحانه وتعالى:(ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعلى الذين لا يجدون ماينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ماعلى المحسنين من سبيل والله غفور رحيم* ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ماأحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ماينفقون)(١) . بين الله عزوجل أن الجهاد ساقط في حق الضعيف كالرجل الهرم أو الطفل الصغير أو الأعمى ، والأعرج ، أو من كان به مرض يمنعه من الجهاد ، أو من عجَز عن توفير عدة الجهاد من النفقة والمركب.

ومما يدل على استثناء أهل الأعذار من الجهاد قول الله تعالى:(لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً)(٢) . أخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - عن أبي اسحاق أنه سمع البراء يقول في هذه الآية(٣) (لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله) فأمر رسول الله زيداً فجاء بكتف يكتبها فشكا إليه ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر) .

ويدل كذلك على استثناء أهل الأعذار من الجهاد ماأخرجه الامام مسلم - واللفظ له - وابن ماجة ، عن جابر قال : (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال: إنّ بالمدينة لرجالاً ماسرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، حبسهم المرض)(٤) .

---

(١) التوبة (٩١ ، ٩٢) .
(٢) النساء (٩٥) .
(٣) أخرجه البخاري في الجهاد / باب قول الله تعالى:(لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ..) (٢ / ١٤٢) . وأخرجه مسلم في كتاب الامارة، باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين (٣ / ١٥٠٨) .
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الامارة ، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض (٣ / ١٥١٨) . وأخرجه ابن ماجة في كتاب الجهاد ، باب من حبسه العذر عن الجهاد (٢ / ٩٢٣) .

ويسقط الجهاد كذلك عن العبد . يقول ابن رشد : (والدليل على صحة اشتراط الحرية في ذلك ،هو أن الجهاد من الفرائض المتوجهة الى الأبدان المتعينة فى الأموال فإذا سقط فرض الجهاد عمن لا مال له لقوله عزوجل:(ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج . .) فهو ساقط عن العبد إذ لا مال له يقدر على إنفاقه . . . ،ومنافعه أيضاً مستحقة لسيده) . (١)

---

(١) المقدمات لابن رشد (٢/٢٦٨) .

وتُعَدُّ المرأةُ من أُهل الأُعذار الذين لايجب عليهم الجهاد ، يدل على هذا ماأُخرجه البخارى-واللفظ له- وأُحمد عن عائشة أُم المؤمنين رضى الله عنها قالت: (استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد فقال : جهادكن الحج) (١).

نقل ابن حجر عن ابن بطال قوله فى هذا الحديث: (دلّ حديث عائشة على أن الجهاد غير واجب على النساء ، ولكن ليس فى قوله (جهادكن الحج) انه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد ، وانما لم يكن عليهن واجباً لما فيه من مغايرة المطلوب منهن من الستر ومجانبة الرجال ، فلذلك كان الحج أُفضل لهن من الجهاد) (٢).

وماذكره ابن بطال من أن الجهاد جائز للنساء وليس بواجب ، لايعنى جواز القتال لهن ، وانما يعنى جواز خروجهن مع المجاهدين لاعانتهم فى بعض شئون الغزو كما سأبينه قريباً ، فجهادهن الجائز مخصوص بأعمال تناسب طبيعتهن، وليس القتال لغير ضرورة .

لذلك فقد استدرك ابن المنيِّر على البخارى (رحمهما الله) تبويبه لحديث أنس - وسيأتى ذكره قريبا - الذى أخبر فيه أن عائشة وأم سليم كانتا تنقلان قرب الماء وتسقيان القوم فى إحدى الغزوات - استدرك عليه تبويبه له بقوله :(باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال). قال ابن المنيِّر: (بوب على قتالهن وليس هو فى الحديث) ، وحمل تبويب البخارى بقوله (فإما أن يريد (إعانتهن للغزاة غزو) واما أن يريد أنهن ماثبتن لسقى الجرحى ونحو ذلك إلا وهنّ بصدد أن يدافعن عن أنفسهن وهو الغالب) (٣).

---

(١) أُخرجه البخارى فى كتاب الجهاد / باب جهاد النساء (٢ / ١٤٩) وأُحمد فى المسند (٦ / ٦٧ ، ١٢٠ ، ١٦٦).

(٢) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى للامام أحمد بن على بن حجر العسقلانى (٦ / ٧٦)- ترتيب محمد فؤاد عبدالباقى - نشر وتوزيع دار الافتاء بالسعودية .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى (٦ / ٧٨).

ووافقه ابن حجر فى استدراكه ، وأنكر ثبوت مايدل على التصريح لهن بالقتال حيث قال:(ولم أر فى شىء من ذلك التصريح بأنهن قاتلن) ، وحمل تبويب البخارى فقال : (ويحتمل أن يكون غرض البخارى بالترجمة أن يبين أنهن لا يقاتلن وإن خرجن فى الغزو، فالتقدير بقوله (وقتالهن مع الرجال) أى هل هو سائغ ؟ ،أو إذا خرجن مع الرجال فى الغزو يقتصرن على ماذكر فى حديث أنس من السقيا ونحو ذلك) (١).

ومما يدل على أنَّ القتال غير مفروض على النساء ، وغير جائز فى حقهن الا لضرورة ماأخرجه الامام أحمد وابن ماجة - واللفظ له - عن عائشة رضى الله عنها قالت: (٢) (قلت يارسول الله ،على النساء جهاد ؟ قال : نعم . عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمـــرة).

قوله (لا قتال فيه) صريح فى نفى وجوب القتال على النساء ،اذ مع اثباتـــه لجهاد النساء نفى عنه صفة القتال ، وهو مايعنى أن القتال ليس واجبا على النســـاء ، فقيّد بهذا الوصف نوع الجهاد الواجب فى حقهن ثم صرّح بأنه الحج والعمرة.

ويشهد لهذا ماأخرجه الطبرانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه حيث قـــال : (٣)

(قالت أم سلمة : يارسول الله أخرج معك إلى الغزو ؟ فقال: ياأم سلمة إنه لـــم يكتب على النساء جهاد . فقالت: أداوى الجرحى ، و أعالج العين ، وأسقى الماء . قال : فنعم إذاً .).

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى (٦/ ٧٨) .

(٢) أخرجه الامام أحمد فى المسند (٦/ ١٦٥) . وابن ماجة فى المناسك/باب الحج جهاد النساء (٢/ ٩٦٨) . واسناد الحديث حسن لأجل (محمد بـــن فضيل) فهو صدوق . انظر التقريب لابن حجر (٢/ ٢٠٠) .

(٣) أخرجه الطبرانى فى المعجم الصغير (١/ ١١٧) طبعة دار الفكر - الطبعة الثانية (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٥/ ٣٢٤) : رواه الطبرانى عن شيخه جعفر بن سليمان بن حاجب الانطاكى ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات. قلت : بحثت عن شيخ الطبرانى فلم أجد له ترجمة ولم أجد فيه قولاً للعلماء ، لذا فانه مجهول ، والحديث ضعيف.

قوله (لم يكتب على النساء جهاد) معناه لم يفرض عليهن قتال ، وهو بهذا يجيب على طلبها بالخروج الى الغزو ، أى أن القتال غير مفروض على النساء فلا تخرج معهم لهذا الغرض. ولكن بعد أن بينت أم سلمة أن الغاية من خروجها هى مداواة الجرحى . . وليس القتال أجابها بقوله (فنعم اذاً) .

جواب الرسول صلى الله عليه وسلم الذى أُجاب به أُم سلمة أُولا يفيد عدم جواز خروج النساء للقتال وأنه غير مفروض عليهن . وجوابه الثانى لها يبين جواز خروجهن مع المجاهدين من أَجل القيام على خدمتهم. والحديث وان كان ضعيف الاسناد إلا انه لا يتعارض فى معناه مع الاحاديث الصحيحة بل يتفق معها .

كما أن الاسلام أمر المرأة بالستر والقرار فى البيوت ، والقتال نقيض ذلك ولا يمكن أن يوجب الاسلام الشيء ونقيضه .

قال ابن رشد : (والدليل على صحة اشتراط الذكورة فى ذلك أن الجهاد لا يتأتى للمرأة إلا بضد ما أمرت به من الستر والقرار فى بيتها. قال تعالى: (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) (١) .) (٢)

ومما يؤيد وجهة نظر ابن رشد فيما ذهب اليه قوله تعالى : (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأُولى) (٣) .

كما أن النساء عورة فلا يؤمن ظفر العدو بهن فيستحلون ما حرّم الله منهن .

والحكمة فى عدم وجوب الجهاد على النساء جليّة وواضحة، إذ أن الله سبحانه خلق المرأة على صورة تتناسب مع واجبها ووظيفتها فى الحياة الذى يتمركز فى القيام بواجبات البيت والأُسرة ، لذا فإن المرأة تكون ضعيفة جسميا ونفسيا ، فلا تستطيع أن ترى مناظر الدماء والجرحى والقتلى ، ولا تملك من قوة القلب ما يمكّنها من الوقوف فى وجه العدو ومصاولته بالسلاح ، ولا تقوى كذلك على تحمّل الشدائد التى هى سمة المعارك والحروب.

---

(١) الاحزاب (٥٩) .
(٢) مقدمات ابن رشد (٢/٢٦٧ ، ٢٦٨) .
(٣) الاحزاب (٣٣) .

قال الامام علاء الدين الكاسانى فى بدائع الصنائع : (ولا جهاد على الصبى والمرأة لأن بنيتها لاتحتمل الحرب عادة)(١) .

جواز خروج النساء مع المجاهدين ، ومساهمتهن فى بعض المهام أثناء القتال :

ولكن يجوز خروج النساء مع المجاهدين بحيث تكون فى مأمن من العدو ، ويجوز لها أن تمارس بعض الأعمال والمهام فى أثناء القتال بما يتفق مع طبيعتها وقدراتها ، مثل السقاية واعداد الطعام ومداواة الجرحى ونقل الموتى .

دليل ذلك ماأخرجه الامام مسلم - واللفظ له - وابن ماجة والدارمى واحمد(٢) عن أم عطية الانصارية قالت : (غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، أخلفهم فى رحالهم فأصنع لهم الطعام ، وأداوى الجرحى ، وأقوم على المرضى) . فقد خرجت أم عطية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يمنعها من ذلك ممايفيد جوازه ، واقتصر عمل ام عطية على السقاية واعداد الطعام ، ومداواة الجرحى .

والأحاديث كثيرة تلك التى تحدد مقدار مشاركة المرأة فى الجهاد . منها حديث الربيع بنت معوذ قالت : (كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نسقى ونداوى الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة)(٣) .

---

(١) انظر بدائع الصنائع (٩٨/٧) للامام علاء الدين أبى بكر بن مسعود الكاسانى . دار الكتاب العربى /بيروت/الطبعة الثانية/١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

(٢) اخرجه مسلم فى الجهاد والسير/ باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم (١٤٤٧/٣) . وابن ماجة فى الجهاد / باب العبيد والنساء يشهدون مع المسلمين (٩٥٢/٢) . والدارمى فى الجهاد /باب فى النساء يغزون مع الرجال (١٣٠/٢) تحقيق / عبدالله هاشم/الناشر احاديث اكادمى - باكستان . والامام احمد فى المسند (٨٤/٥) .

(٣) اخرجه البخارى فى الجهاد /باب مداواة النساء الجرحى فى الغزو (١٥٠/٢) وباب رد النساء الجرحى والقتلى (١٥٢/٢) واللفظ له . واخرجه الامام احمد فى المسند (٣٥٨/٦) .

ومنها ماروراه أنس قال:(١) (لما كان يوم أُحد انهزم الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال، ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر، وأم سليم وإنهما لمشمرتان، أُرى خدم(٢) سوقهما تنقزان القرب(٣) - وقال غيره تنقلان القرب - على متونهما، ثم تفرغانه فى أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها فى أُفواه القوم).

ومنها ماروراه أنس ايضا قال:(٤) (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأُم سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى).

ويستحب للمرأة اذا خرجت أُن تتخذ لها سلاحا تدافع به عن نفسها اذا اقتضت الضرورة، نستفيد هذا من حديث أنس رضى الله عنه(٥) (أنّ أُم سليم رضى الله عنها اتخذت يوم حنين خنجراً، فكان معها فرآها أُبو طلحة فقال يارسول الله، هذه أُم سليم معها خنجر. فقال لها رسول الله: ماهذا الخنجر؟ قالت: اتخذته، إنْ دنا منى أُحد من المشركين بقرت به بطنه. فجعل رسول الله يضحك. قالت يارسول الله: اقتل من بعدنا من الطلقاء، انهزموا بك. فقال رسول الله: ياأُم سليم إنّ الله قد كفى وأُحسن).

من كل هذا يتضح لنا الحدود التى حدها الشارع للمرأة اذا خرجت للجهاد

---

(١) اخرجه البخارى فى كتاب الجهاد/ باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال (٢/ ١٥٠)، وفى كتاب فضائل الصحابة، مناقب أبى طلحة (٢/ ٣١٤) واللفظ له ومسلم فى الجهاد والسير/ باب غزوة النساء مع الرجال (٣/ ١٤٤٣).

(٢) خَدَم سوقهما: الخدم بفتح الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة جمع خدمة، يعنى الخلخال، سمى موضعها من الساق خدمة، وجمعها خِدام بالكسر. انظر غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ١٥)، وعمدة القارى للعينى (١٤/ ١٦٦).

(٣) تنقزان القرب: أى تحملانها، وتقفزان بها وثبا. انظر غريب الحديث لابن الاثير (٥/ ١٠٦).

(٤) اخرجه مسلم فى كتاب الجهاد والسير/ باب غزوة النساء مع الرجال (٣/ ١٤٤٢).

(٥) اخرجه مسلم فى كتاب الجهاد والسير/ باب غزوة النساء مع الرجال (٣/ ١٤٤٣) واللفظ له. واخرجه الترمذى فى السير/ باب ماجاء فى خروج النساء فى الحرب (٤/ ١٣٩). وابوداود فى الجهاد/ باب فى النساء يغزون (٣/ ١٨).

مراعاة لطبيعتها وقدراتها، فليس لأحد بعد هذا كله أن يخرج ليطالب بمشاركة المرأة فى الحروب كالرجل تماما ، ويكلّفها بما لم يكلفها به الشارع، وبما لا تستطيعه أصلاً .

ويمكن للمرأة أن تشارك اليوم فى أعمال كثيرة تساعد فى إدارة الحروب، وتعزيز المجهود الحربى لدى المسلمين ، وذلك من خلال مشاركتها فى أُعمال الطباعة والتسجيل والاعلام، والاتصالات، والتصنت ، والتشويش . . فضلا عن أُعمال التمريض، ونقل الجرحى والموتى ، وغيرها من الأُعمال التى ليس فيها مشقة ، وتتناسب مع قدراتها الجسمية والنفسية . بعيدة عن الاختلاط بالرجال .

هذا كله فى حالة ما إذا كان القتال خارج الدولة الاسلامية ، لتأمين نشر الدعوة . ولكن إذا دهم العدو بلدة للمسلمين ، فإنّ الجهاد يكون واجباً على جميع أهل تلك البلدة، ومنهم النساء ، إذ يكون الجهاد فى تلك الحالة دفاعاً بحتاً عن النفس فضلاً عن الأُرض والمال والمقدسات ، وكل مسلم ذكرًا كان أُو أُنثى مطالب بالدفاع عن نفسه ، ورد كيد عدوه عنه ، ولأن المرأة يمكنها أُن تباشر الجهاد من على سطح بيتها ، أوهن أى مكان فيه ، كما أُنها عند الإضطرار يسهل عليها التحصن بالبيوت وماشابهها . . .

****

المبحث الثالث

بواعث الجهاد

تمهيد :

ان الواقع البشرى على مدار التاريخ ، قائم على الصراع بين الحق والباطل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والحق والباطل قائمان منذ أن خلق الله الخلق ، والحق متمثل فى دعوة الانبياء عليهم السلام واتباعه حزب الله ، والباطل متمثل فى الطاغوت واتباعه حزب الشيطان ، فالصراع قائم بين الحق والباطل ، بين الايمان والكفر ، بين الخير والشر ، بين العدل والظلم ، والنصر فى النهاية للحق والايمان .

يقول تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق).(١)

وما دام الناس فى الدنيا ، فالصراع قائم فيها ، لأن النفوس لها نوازع واهواء ومطامع ، وكل واحد من الناس يحب أن يحقق نوازعه وأهواءه ومطامعه ، كما أن كل فرقة تسعى لتحقيق مطامعها ونزواتها .

وبنظارة عابرة فى التاريخ البشرى ، نرى واقعا من الصراع الدائم والحروب الطاحنة بين قبيلة واخرى ، وبين دولة واخرى ، وبنظارة عابرة كذلك فى واقعنا المعاصر ، نرى أنه لاتكاد قارة من القارات تخلو من الحروب والصراعات بل لاتكاد دولة من الدول تخلو من ذلك ، وان خلت دولة ما فانها تحمل بين جنباتها اسباب الصراع التى قد تنفجر بين وقت وآخر ، حتى ان العالم اليوم انقسم الى معسكرين (٢) : المعسكر الشرقى ويتزعمه الاتحاد السوفيتى والمعسكر الغربى وتتزعمه أمريكا ،

---

(١) سورة الانبياء آية (١٨) .

(٢) لاشك ان الاسلام هو المنقذ للبشرية و سيتسلم المسلمون زمام القيادة فى العالم كما كان اسلافهم رضوان الله عليهم ، وذلك بتحكيم الاسلام فى كل شئوننا وسلوك طريق الجهاد لاعلاء كلمة الله .

والشرق والغرب يكاد يعلن افلاسه من القيم والمبادئ ، مما يفقدهم قيمة مدنيتهم فى حين يتقدم الاسلام ، والصحوة الاسلامية دليل ذلك ، مما يؤهل المسلمين الصادقين لاستلام زمام القيادة البشرية ، مع الانتفاع بالمدنية التى عند الشرق والغرب.

وكل معسكر يتحفز للآخر ويعد من القنابل مايكفى لازالة البشرية مرات ومرات ، (ففى عام ١٩٨٢م - على سبيل المثال - تم انفاق ٦٥٠ مليار دولار فى الاغراض العسكرية ، وذلك يكفى لتحميل كل رأس من رؤوس سكان الكرة الأرضية اربع أطنان من المتفجرات ذات النمط التقليدى). (١)

هذا وقد أشار ابن خلدون فى مقدمته الى أن الحروب لم تزل واقعة فى الخليقة منذ براها الله ، وقسم هذه الحروب الى أقسام أربعة من حيث اسبابها ودوافعها ، وهى : (٢)

القسم الأول : حروب سببها الغيرة والمنافسة .

القسم الثانى : حروب سببها عدوانى هدفها غلبة الآخرين .

القسم الثالث : الجهاد غضبا لله ودينه .

القسم الرابع : حروب الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها .

ويقول الدكتور جوستاف لوبون فى بيان حتمية الصراع بين البشر وكونه سنة وقانونا ثابتا : (مافتئت الحرب تشغل بال الشعوب والامم على رغم تقدم الحضارة ومباحث الفلاسفة ، وانا لنشك فى أن مبتكرات العلم تجعلها فى المستقبل أقل منها فى الماضى ، وانما الأمر الذى لاريب فيه هو أن هذه المبتكرات جعلتها أكثر سفكا للدماء ، والحادثة اذا تكرر ظهورها بانتظام مستمر تكون بنت ضرورات مهيمنة). (٣)

---

(١) رجاء جارودى / مستقبل الاسلام فى الغرب ص ١٢ ، بتصرف يسير جدا ، ترجمة د . رفيق المصرى ، دار العلم للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤ م .

(٢) ابن خلدون / المقدمة ص ٢٧٠ - ٢٧١ . دار احياء التراث العربى - الطبعة الرابعة .

(٣) د / احمد نوفل - الحرب النفسية ٢٧/١ . دار الفرقان - الاردن - الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م . نقلا عن روح السياسة لمؤلفه جوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر ٥٥ ، ٥٧ .

والقرآن الكريم اخبرنا بهذه الحقيقة، حتى نكون على علم بسنة من سنن الله في الكون والخلق وذلك في قوله تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)(١).

وقوله تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا * ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز * الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة واتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)(٢).

من هاتين الآيتين الكريمتين يتضح لنا ما يأتي :

اولا : التدافع بين الناس، سواء بين قبيلة وأخرى، أودولة وأخرى، أو بين جماعتين، هو سنة الله تبارك وتعالى. والتدافع هو دفع كل من الطرفين للآخر بما يدفع به عن الخصم خصمه من سلاح وغيره.

ثانيا: الحكمة من هذا التدافع، ازالة الفساد من الارض، ونصرة دين الله بتحقيق عبوديته ونصرة شريعته في الارض. ويلاحظ أن آية سورة البقرة أشارت الى أن الحكمة من التدافع ازالة الفساد من الارض، وآية سورة الحج اشارت الى أن الحكمة هي تحقيق العبادة لله في الارض، وبهذا يتبين أن عدم الخضوع بالعبودية لله في الارض هو افساد فيها ، ومن ثم فان اى جماعة، او فئة ينبغي أن يدفعها الى جهادها دافع تحقيق العبودية لله تعالى في الأرض ... .

---

(١) سورة البقرة (٢٥١).

(٢) سورة الحج (٤٠ ، ٤١).

ثالثا : سنة التدافع قاعدة الجهاد الاسلامى ، اذ ذكر الحق تبارك وتعالى آية سورة البقرة فى سياق تبرير جهاد طالوت لجالوت ، كما أن آية سورة الحج ، جاءت لبيان السبب غير المباشر ، الذى من أجله أذن الله للمسلمين بالجهاد ، فالسبب غير المباشر للاذن بالجهاد ، هو أن القتال والتدافع بين الناس سنة قائمة ، والسبب المباشر لهم بالاذن بالقتال ، هو دفع الظلم عن المسلمين الذين يقتلون ويخرجون من ديارهم بغير حق ، وفى هذا اشارة الى أنه لابد للحق من قوة تحميه ، وأن الطريق للدفاع عن الانفس والاوطان هو الجهاد ، كما أن فيه من جهة أخرى بيانا لباعث من بواعث الجهاد كما سيأتى .

مما سبق تبين لنا أن التدافع والقتال هو سنة الهية ، وبناء عليه ، فقد شرع الجهاد لكى يتحقق من خلاله عبادة الله فى الارض - بكل مايعنيه لفظ العبادة من الخضوع لله ، سواء فى العقيدة ، او الشعائر التعبدية ، او الشرائع القانونية - ولازالة الفساد بكل صوره وأشكاله .

وبعبارة اخرى شرع الجهاد لكى تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وبهذا فان الاسلام حدّد المقصد الذى شرع من اجله الجهاد ، يقول سبحانه وتعالى : (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا) (١) .

والجهاد لايكون فى سبيل الله الا اذا ابتغى به وجه الله ، وقصد منه اعلاء كلمة الله فى الأرض .

---

(١) سورة النساء (٧٦) .

يقول الاستاذ سيد قطب:(ان الاسلام لا يعرف قتالا الا في هذا السبيل ، لا يعرف القتال للغنيمة ، ولا يعرف القتال للسيطرة ، ولا يعرف القتال للمجد الشخصي أو القومي ، انه لا يقاتل للاستيلاء على الأرض، ولا الاستيلاء على السكان ، لا يقاتل ليجد الخامات للصناعات والاسواق للمنتجات ، أو لرؤوس الاموال ، يستثمرها في المستعمرات . . انه لا يقاتل لمجد شخص . . . ولا لمجد بيت . . ولا لمجد طبقة . . . ولا لمجد دولة . . ولا لمجد أمة . . ولا لمجد جنس . . انه يقاتل في سبيل الله لاعلاء كلمة الله في الارض ولتمكين منهج الله في تصريف الحياة ولتتمتع البشرية بخيرات هذا المنهج) (١) .

والاسلام عندما حدد المقصد الذي شرع من أجله الجهاد ، أراد بذلك حماية البشرية من افساد المفسدين ، ومن ظلم الظالمين ، ومن اطماع الطامعين ومما يسعى اليه كثير من الجبابرة المتسلطين ، اذ لو أمسكوا بزمام الناس لأذلوهم ، واستعبدوهم ، وها هو فرعون استذل بني اسرائيل وقتل ابناءهم واستحيى نساءهم ، يقول الله سبحانه وتعالى:(واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) (٢) .

وكذلك أراد لهم الاسلام أن يتفيئوا ظلاله ويسعدوا به .

واذا كان هذا هو الباعث للجهاد ، فانه عين الغاية المرجوة من النصر ، فالجهاد انتصار لشريعة الله في الارض ، وانتصار للهداية والعدل والحق بين الناس ، والنصر المرجو هو انتصار الايمان على الكفر ، وانتصار العدل على الظلم ، والحق على الباطل والخير

---

(١) أحمد فائز/طريق الدعوة في ظلال القرآن ١ / ٣٠٢ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م

(٢) البقرة (٤٩) .

على الشر لتنعم البشرية بالايمان والعدل والحق والخير.

وللجهاد الاسلامي بواعث كلها تدخل في دائرة المقصد الاساسي، ومدار هذه البواعث، اما دفع ظلم عن المسلمين أو تحقيق هداية للآخرين، أو حماية الدولة الاسلامية من الفتن الداخلية وسنوردها بالتفصيل:

الباعث الأول: حماية الدولة الاسلامية من الفتن الداخلية.

شرع الجهاد لحماية الدولة الاسلامية مما قد يطرأ عليها من فتن داخلية تضعف كيانها وتهددها بخطر الانقسام، والاخطار الداخلية هي:

اولا: المرتدين: عندما يتعصب المرتدون لردتهم وكفرهم، ويعلنون الحرب على الدولة الاسلامية فان واجب الامام حينئذ أن ينتدب من جند المسلمين من يقاتلهم حتى يعودوا الى الاسلام أو يقضي عليهم، لأن بقاءهم خطر عظيم يهدد الدولة الاسلامية، ويفل من قوتها، ويشجع الكافرين الذين لم يدخلوا في الاسلام على التجرؤ عليها، لأن كفر من كفر بعد اسلامه عامل من عوامل تشجيع من لم يدخل في الاسلام أصلا، كما أنه يصرف من لم يدخل في الاسلام عن التفكير فيه، معتقدا أنه لو كان خيرا ما تركه بعض من دخل فيه لهذا تختلف معاملة المرتدين عن سائر الكافرين، فليس للمرتدين الا أن يرجعوا الى دين الاسلام، أو أن يضربوا بحد السيف، بينما نرى الاسلام يدعو اليهود والنصارى والمجوس الى الدخول في الاسلام، فان هم أبوا ذلك دعاهم الى الخضوع لسلطانه، مع بقائهم على دينهم اذا أدوا الجزية فان هم أبوا الثانية فعل بهم ما يفعل بالمرتدين من ضربهم بحد السيف.

واستدل العلماء على قتل المرتد بما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (١) (من بدل دينه فاقتلوه) .

وبما أخرجه الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (٢) (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله الا باحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزانى، والمارق من الدين التارك الجماعة) .

وينقسم المرتدون الى قسمين: قسم كفر بالدين كله، وقسم جحد بعض أركانه ككفر مانعى الزكاة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بحجة أنهم كانوا يؤدونها لأجل دعائه خاصة، وهى لا تلزمهم بعد وفاته .

ولا فرق فى الحكم بين من ارتد عن الدين كله او عن بعضه، ولذا فقد قاتل الصديق رضى الله عنه الصنفين، وانتدب لهم الجيوش، ولما وجد عمر فى نفسه من مقاتلة من قال لا اله الا الله وجحد الزكاة بين له الصديق أن الزكاة حق المال، فمن امتنع من أدائها كان مرتدا عن ركن من أركان الاسلام، يقاتل عليه، كما يقاتل على ترك الصلاة جحودا، فان هذا الحكم مستقر فى القلوب لا يُمارى فيه أحد من الناس

---

(١) اخرجه البخارى فى كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم - باب حكم المرتد ٤ / ١٩٦ واللفظ له، واخرجه الترمذى فى الحدود - باب ماجاء فى المرتد ٤ / ٥٩ . والنسائى فى كتاب تحريم الدم - باب الحكم فى المرتد ٧ / ١٠٤، وابن ماجه فى كتاب الحدود - باب المرتد عن دينه ٢ / ٨٤٨، والامام احمد فى المسند (٧ / ٣٢٢ - ٣٢٣) .

(٢) صحيح البخارى - كتاب الديات - باب قول الله تعالى (ان النفس بالنفس .. الآية) ٤ / ١٨٨ واللفظ له، ومسلم فى كتاب القسامة باب مايباح به دم المسلم (٣ / ١٣٠٢) والترمذى فى كتاب الحدود - باب ماجاء من شرب الخمر فاجلدوه، ومن عاد الرابعة فاقتلوه ٤ / ٤٩، وكتاب الديات - باب ماجاء لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث ٤ / ١٩ . والنسائى فى كتاب القسامة - باب ذكر مايحل به دم مسلم ٧ / ٩٠، وابن ماجه فى كتاب الحدود - باب لا يحل دم امرئ مسلم الا فى ثلاث .. ٢ / / ٨٤٧، والدارمى فى كتاب الحدود باب مايحل به دم مسلم (٢ / ٩٣) .

فجحود الزكاة والامتناع عن ادائها مثله فى الحكـــم.

أخرج الشيخان وغيرهما-واللفظ للبخارى - عن ابى هريرة قال : (لما توفى النبى [١] صلى الله عليه وسلم واستخلف ابوبكر وكفر من كفر من الاعراب قال عمر: ياأبابكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله.

قال أبوبكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لومنعونى عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر: فوالله ماهو الا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبى بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق) .

مما سبق يتبين أن من واجب الخليفة تسيير الجيوش لمقاتلة المرتدين اذا امتنعوا وتعصبوا ولم يتوبوا ، أسوة بالخليفة الاول ابى بكر الصديق رضى الله عنه ، وحفاظا على المجتمع المسلم ، وهذا واحد من المقاصد التى شرع من اجلها الجهاد .

ثانيا : البغـــاة : ان من حق الخليفة على المسلمين الطاعة فى غير معصية . يقول الله سبحانه :(يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) [٢] .

أخرج الشيخان - واللفظ لمسلم - وابوداود والترمذى وابن ماجه واحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (على المرء المسلم [٣] السمع والطاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة).

---

(١) البخارى - كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم - باب قتل من ابى قبول الفرائض ومانسبوا الى الرده ٤ / ١٩٦ ، ومسلم كتاب الايمان - باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ويؤتوا الزكاة (١ / ٥١ - ٥٢) ، وابوداود كتاب الزكاة - باب وجوبها ٢ / ٩٣ ، والترمذى كتاب الايمان - باب ماجاء أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله (٥ / ٣)، والنسائى كتاب تحريم الدم - الباب الاول (٧ / ٧٧).

(٢) النساء ٥٩ .

(٣) اخرجه البخارى فى الجهاد ، باب السمع والطاعة للامام (٢ / ١٦٣) ، ومسلم فى كتاب الامارة ، باب وجوب طاعة الامراء فى غير معصية (٣ / ١٤٦٩) ، واخرجه ابوداود فى الجهاد - باب فى الطاعة (٣ / ٤٠ - ٤١) ، والترمذى فى الجهاد - باب ماجاء لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق (٤ / ٢٠٩) ، وابن ماجه فى الجهاد - باب لا طاعة فى معصية الله (٢ / ٩٥٦) ، واحمد فى المسند (٢ / ١٧) .

وحذر رسول الله عليه الصلاة والسلام من ترك طاعة الامام .فقد أخرج الامام مسلم عن نافع ، قال:جاء عبد الله بن عمر الى عبد الله بن مطيع حين كان من امر الحرة ماكان زمن يزيد بن معاوية،فقال:اطرحوا لأبى عبد الرحمن وسادة،فقال:انى لم آتك لأجلس،أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعه مات ميتة جاهلية) .(١)

من ذلك يتضح وجوب طاعة الامام العادل فى غير معصية ، وعدم جواز الخروج عليه سواء كان الخارج فردا أم جماعة بتأويل أم بدون تأويل .(٢)

ومن الخارجيين على الامام البغاة (وهم القوم الذين يخرجون على الامام بتأويل سائغ ولهم منعة وشوكة).(٣)

وقد اشترط الفقهاء شروطا ، ينبغى توفرها فى الخارجين على الامام حتى ينطبق عليهم وصف البغاة " وهى :

الأول :- أن يكون الخروج من طائفة قوية لها منعة وشوكة بحيث تحتاج الى رجال ومال وسلاح وقتال لردها الى طاعة أولي الأمر.

فان لم يكن ردهم يحتاج الى ذلك بأن يكونوا افرادا قلائل لا يملكون من السلاح والعتاد

---

(١) صحيح مسلم:كتاب الامارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣ / ١٤٧٨ .

(٢) الخارجون على الامام اربعة أصناف : الاول : الخارجون عن طاعة الامام بغير تأويل وهم قطاع الطريق . الثاني : الخارجون عن طاعة الامام بتأويل الا انهم نفر يسير لا منعة لهم ، وهؤلاء حكمهم حكم قطاع الطريق وليس حكم البغاة ، الثالث: الخوارج الذين يكفرون بالذنب ويكفرون عليا وعثمان وطلحة والزبير وكثيرا من الصحابة ويستحلون دماء المسلمين واموالهم،وحكمهم عند جمهور الفقهاء وجمهور اهل الحديث حكم البغاة ، ويرى مالك استتابتهم فان تابوا والا قتلوا على افسادهم لا على كفرهم ، وذهبت طائفة من اهل الحديث الى انهم مرتدون . الرابع: البغاة : قوم من اهل الحق يخرجون من قبضة الامام بتأويل سائغ وفيهم منعة يحتاج فى كفهم الى جيش . انظر ذلك فى المقنع لابن قدامة - المؤسسة السعيدية ٤ /١٤٧ - ١٤٩ .والفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيرى/دار احياء التراث العربى ٥ /٤١٨ .

(٣) ابن قدامة القدسى ، المقنع ، ٤ /١٤٦ .

الذى يمتنعون به فان حكمهم حكم قطاع الطريق لسهولة ضبطهم واعادتهم الى الطاعة دون الحاجة الى القتال .

الثانى : الخروج من قبضة الامام ، فان لم يخرجوا من قبضته لم يكونوا بغاة .

الثالث : أن يكون لهم تأويل سائغ يدعوهم الى الخروج على حكم الامام وان اخطأوا فى ذلك كما تأول بنو حنيفة منع الزكاة بقوله تعالى : (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم)[١] ، فقالوا أمر الله بدفع الزكاة الى من صلاته سكن لنا وهو رسول الله . فأما ابن قحافة فليست صلاته سكنا لنا .

الرابع : واختلف العلماء فى اشتراط عدالة الامام لوصف جريمة الخارجين عليه بالبغى ، فذهب الحنفية[٢] والمالكية[٣] الى اشتراط عدالة الامام لتحقق جريمة البغى فى الخارجين عليه ، وخالفهم فى ذلك الشافعية[٤] حيث قالوا بعدم اشتراط عدالة الامام ، ولكن فرقوا بين الامام الجائر الذى تولى السلطة بالطرق المشروعة والذى تولاها بالغلبة والقهر ، واعتبروا الخروج بغيا على الامام الجائر الذى تولى بطريق شرعى والا فليس ببغى . وأما الحنابلة فلم يفرقوا فى ذلك ، واعتبروا أن الخروج عليهما خروجا[٥] .

---

(١) التوبة (١٠٣) .

(٢) انظر بدائع الصنائع للامام الكاسانى (٧/١٤٠) .

(٣) انظر الخرشى على مختصر سيدى خليل للامام على بن احمد العدوى (٨/٦٠) .

(٤) انظر المجموع شرح المهذب بتكملة المطيعى (١٩/١٩٨) طبعة دار الفكر .

(٥) شرح منتهى الايرادات للامام منصور البهوتى (٣/٣٨٠) دار الفكر ، والمغنى بالشرح الكبير لابن قدامة (١٠/٥٢، ٥٣) .

واذا تحقق من هذه الشروط فيمن خرج عليه فانه من الواجب عليه أن يراسلهم ويسألهم ماينقمون منه ، ويزيل مايذكرونه من مظلمة ، ويكشف مايدعونه من شبهة، ويستجيب لنصحهم ، ويقبل الحق الذى عندهم ، وينصحهم بالعودة الى الحق والدخول فى الطاعة قبل أن يبدأهم بالقتال ، ولا يجوز له أن يبدأهم بالقتال قبل أن يفعل ذلك أخذا من قوله تعالى:(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله)* حيث ان الله سبحانه وتعالى أمر بالصلح قبل القتال وعين القتال عند البغى ، واقتداء بالامام على (رضى الله عنه) حيث بعث عبدالله ابن عباس الى الحرورية لما خرجوا عليه قبل أن يقاتلهم.(١) هذا ماذهب اليه الشافعية والحنابلة والمالكية ، وذهب الحنفية الى استحباب دعوتهم الى الطاعة وكشف شبهتهم ، وقالوا أن ذلك ليس بواجب لأنهم كمن بلغتهم الدعوة الاسلامية لاتجب دعوتهم ثانية .(٢)

والذى إطمئن اليه هو ماذهب اليه جمهور الائمة لظاهر الآية ، وفعل على رضى الله عنه ، ولأن الاصل فى دماء المسلمين الحرمة فلا يجوز قتلهم الا دفعا وهم مسلمون ، خاصة وأن الآية وصفتهم بوصف الايمان (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ..) ،

---

(١) انظر هذا الخبر فى المستدرك للحاكم فى كتاب قتال أهل البغى (٢/١٥٢،١٥٤) وصححه الحاكم ، وانظر السنن الكبرى للبيهقى (٨/١٧٩-١٨٠) كتاب قتال أهل البغى - باب لايبدأ الخوارج بالقتال حتى يسألوا مانقموا . وانظر مسند الامام احمد (١/٨٦-٨٧) كلهم يرويه عن عبدالله بن شداد . وقد صحح ابن كثير اسناد الامام احمد فى البداية والنهاية (٧/٢٨٠-٢٨١) مكتبة المعارف بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٤ - ١٩٧٤ ، وصحح الاستاذ احمد شاكر اسناده كذلك فى تحقيقه على المسند (٢/٦٦/رقم ٦٥٦) ، وصححه الالبانى فى ارواء الغليل (٨/١١١/ طبعة المكتب الاسلامى- الاولى ١٣٩٩ - ١٩٧٩ .

(٢) انظر ذلك فى المراجع المذكورة فى الصفحة السابقة .

(*) الحجرات (٩) .

ولأنهم قد يعودون الى الطاعة من خلال معرفتهم الحق باقامة الحجة عليهم كما حصل وأن عاد أربعة آلاف من الخوارج الى الحق وطاعة الامام "علي" بعد أن حاججهم ابن عباس ثلاثة أيام وأقام عليهم الحجة (١).

فاذا ماتحقق الامر على ماسبق ولم يعودوا الى الحق، فان من واجب الامام أن يقاتلهم حتى يعودوا الى الحق ويدخلوا في الطاعة . واستدل العلماء على قتال البغاة بآية سورة الحجرات المذكورة في السطور القليلة السابقة . فقد قال ابن العربي عندها (٢) (هذه الآية هي الاصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين ، وعليها عول الصحابة واليها لجأ الأعيان من اهل الملة، واياها عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (٣) (يقتل عمارا الفئة الباغية)).

وقال القرطبي (في هذه الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها على الامام أو على أحد من المسلمين) (٤). والآية وان لم تنص على الخروج على الامام الا انها تشمله لعمومها أو تقتضيه لأنه اذا طلب القتال للبغي على طائفة فللبغي على الامام من باب أولى .

ويجب قتالهم لما يترتب على خروجهم من الفتنة وتفريق جماعة المسلمين، يدل على ذلك ما أخرجه مسلم - واللفظ له - وغيره عن عرفجة قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انه ستكون هنات وهنات فمن اراد أن يفرق هذه الامة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان) (٥).

---

(١) سبق تخريجه في هامش رقم (١) من الصفحة السابقة.
(٢) احكام القرآن لابن العربي (٤/١٧١٧).
(٣) اخرجه الامام مسلم عن ام سلمة وعن ابي سعيد الخدري في كتاب الفتن - باب لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (٤/٢٢٣٥، ٢٢٣٦)، والترمذي عن ابي هريرة في المناقب - باب مناقب عمار بن ياسر (٥/٦٦٩) وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث العلاء بن عبدالرحمن . واخرجه الحاكم عن ابن عباس في كتاب قتال اهل البغي (٢/١٤٩) وصححه .
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/٣١٧). وانظر فتح القدير للشوكاني ٥/ ٦٣ .
(٥) اخرجه مسلم في كتاب الامارة - باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (٣/١٤٧٩)،

===========

قال النووى فى شرحه (فيه الامر بقتال من خرج على الامام أو أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك ، وينهى عن ذلك فان لم ينته قوتل ، وان لم يندفع شره الا بقتله فقتل كان هدرا)(١) .

ويدل كذلك على قتال البغاة قتال ابى بكر الصديق رضى الله عنه للبغاة الذين منعوا الزكاة بتأويل ظنا منهم أنها سقطت بموت النبى صلى الله عليه وسلم ، وقتال على رضى الله عنه أهل الجمل وأهل صفين والخوارج بالنهروان(٢) .

مما سبق يتضح مشروعية القتال لردع البغاة حتى يدخلوا فى طاعة الامام ويحافظوا على وحدة جماعة المسلمين .

هذا واذا قاتلهم الامام فلا يقاتلهم بما يعم اتلافه كالمنجنيق والنار الا للضرورة ، ولا يستعين فى حربهم بكافر ، ولا يتبع لهم مدبرا ، ولا يجهز لهم على جريح ، ولا يغنم لهم مالا ، ولا يسبى لهم ذرية ، ومن اسر من رجالهم حبس حتى تنقضى الحرب ثم يخلى سبيله الى غير ذلك من الاحكام الخاصة بالبغاة والمذكورة فى مظانها من كتب الفقه .

== = وابوداود فى كتاب السنة - باب قتال الخوارج (٤/٢٤٢) . والنسائى فى كتاب تحريم الدم - باب قتل من فارق الجماعة (٧/٩٢) والامام احمد فى المسند (٤/٣٤١) . والحاكم فى المستدرك - كتاب قتال اهل البغى (٢/١٥٦) وصححه .

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (١٢/٢٤١) .

(٢) انظر احكام القران لابن العربى (٤/١٧٢١) .